برنارد لويس

أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية

راجعه وقدم له :

الدكتور خليل أحمد خليل

استاذ علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية

دار الحداثة

هذه ترجمة كتاب :

the Origins of Ismailism

A study of historical Background

of the fatimia caliphate

By Bernard Lewis (Ph. D)

الفهـرس

صفحة

صفحة

أصـــول
الإسماعيلية والفاطمية
والقرمطية

الطبعة الاولى
كانون الثاني ١٩٨٠

« ساعة نزلتُ الى الحركة
في شوارع بغداد ،
كانت الجوقات تغني
أفراح العمل الجديد »

أرتير رامبو
(اشراقات)

الاهـــداء :

الى والديّ

مقدمة

المعارضة الثورية

■ لماذا تفتقد الشعوب ، غالبا ، تدوين تاريخ حركاتها الثورية الكبرى ؟ ولماذا حين ينشط السعي الى هذا التدوين يصطدم المؤرخ الاجتماعي والسياسي بعقبات أقلها الشبهات في المراجع ، واكثرها انعدام المراجع ذاتها ؟

مما لا شك فيه ان العرب سيخرجون الى النور ، ذات يوم ، موسوعة تاريخهم الاجتماعي ، التاريخ السلطوي والتاريخ الثوري ايضا ، تاريخ الحاكمين وتاريخ المحكومين · واذا كانت الموسوعة الاسلامية قد فتحت افقا معجميا امام الباحثين عن الحدود ، فان الباحثين عن تطور هذه الحدود ما زالوا يفتقرون ، حقا ، الى الكتابة التاريخية العلمية والنزيهة · وكتاب الاستاذ برنارد لويس : **اصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية** ، وهو موضوع اطروحته للدكتوراه ، هو اسهام قيم في هذه الكتابة التاريخية المنشودة · ولقد ترجم هذا الكتاب ونشر منذ ما يقارب ثلث القرن (١) ، وبالنظر الى اهميته

---

(١) اصول الاسماعيلية : د · برنارد لويس ، ترجمة خليل احمد جلو وجاسم محمد الرجب ، تقديم د· عبد العزيز الدوري ، الطبعة الاولى ١٩٤٧ · والاطروحة ظهرت بالانكيليزية لاول مرة سنة ١٩٤٠ ·

المتميزة ، ومسيس الحاجة اليه،كان لا بد من اعادة نشره ،بمراجعة مقارنة بين الاصلين العربي والانكليزي قـام بها الاسـتاذ حكمت تلحوق ، واعادة تـرتيب الفصول والفروع كما وضعهـا المؤلف ، وتصحيح الهفوات من تواريخ ولغة ومداخلات غير امينة ، لا سيما في الفصل الاخير من الكتاب الذي جرت تجزئته الى ثلاثة فصول بالعربية وهو فصل واحد بالانكليزية ، فأعدناه الى ما كان عليه ٠

ان كتاب الاستاذ لويس هو كتاب وثائقي ، بالدرجة الاولى ، ترتدي موضوعية المعلومات ومناقشة مصداقيتها الاهمية الاولى ، بل يكون هذا الامر هو الهدف الرئيسي للكتاب ٠ وعليـه فانـه يصح مادة مرجعية لتدوين تاريخي علمي ورزين، وموضوع الكتاب نفسه في غاية الخطورة والاهمية في عصرنا كما في كل عصر ، لان تاريخ المعارضة الاسلاميـة ربما يكـون المرجع الاشمـل لتـاريخ الحركات الثورية عربيا واسلاميا ٠ فبين الاسلام ـ الحكم والاسلام ـ المعارضة ، بين اسلام السلطة وسلطة الاسلام ، تتفرج اساريـر التاريخ عن عدد من الحركات الاجتماعية وعن الكثـرة مـن التغيرات الكبرى ، وتنطلق الدوائر من نقطة البيكـار الاسلامـي الرسمي الى نقاط اخرى تتسع دائريا كما تتسع دوائر بحيـرة اثر سقوط حجر فيها ٠

والكتاب لا يغوص في اعماق كل الدوائر الاسلامية المعارضة الباحثة عن حرية مختلفة ، عبر سلطة اسلامية ثورية ـ ٠ انما يقف عند ظاهرة التشيع الثوري داخل هذا العالم الاسلامي ٠

وحين الانتهاء من قراءة دقيقة لهذا التاريخ ، ينتابنا شعـور عميق ، ووعي جديد ،بأن للعصور الاسلامية الوسيطة، تاريخا اخر هو غير التاريخ المألوف ٠ اي هو تاريخ المعارضة الثورية ، تاريخ

اولئك الذين طمحوا الى خريطة سياسية واعتقادية جديدة ، تاريخ اولئك الذين اصبحوا بقوى ماضوية تؤثر الموروث على المتغير : فانتسبوا الى الماضي ، وبآن واحد ، راحوا يشرحونه بمباضعهم المستقبلية ·

■ ان البشر يواصلون جهودهم في سبيل استيعاب اكمل لوجودهم ولعالمهم · ومن الطبيعي ان تنشأ حركات كبرى ، في مضامير الاسلام ، كالحركات الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية وسواها ، ويحدوها الالق الانساني الساحر : الق المؤاخاة الاسلامية التي اعلنها النبي محمد (ص) ما بين الانصار والمهاجرين ، الق الحياة الجماعية ، الملكية الجماعية ، الق المساواة في الايمان والمساواة في الحياة · فما كان الاسلام، في ظروف نشأته وتطوره، مفتقرا الى الدوافع الثورية · ولا يبالغ المؤرخون حين يقولون :ان الاسلام هو ثورة عالمية في عصره · والحال، حين انتقد المسلمون، في مستوى السلطة ، ثورية اسلامهم ، سعوا بأشكال مختلفة،نقدية واعتراضية بالطبع ، الى تأصيل ثوريتهم ، فتشيعوا من داخل الانتماء الاسلامي ، ومن داخل امكاناته الديموقراطية الواسعة ، لمذهب المساواة المطلقة بين الافراد والاجناس · هؤلاء الذين اسقط الاسلام عنهم العبودية فيما بينهم ، وجعلها محصورة بالتوحيد ، اي بالاعتقاد الاحدي (لا اله الا الله) · العودة الى الاصول الثورية الاسلامية تساعدنا ، كنظرية ، على فهم تاريخي امين لفلسفة التغير الجذري، لفلسفة التطور، التي كان ينشدها ائمة المعارضة الثورية· لقد شهد العالم العربي القديم سلطة اسلامية ديمقراطية مباشرة ، عرفت بسلطة الخلفاء الراشدين · وهذه السلطة المتنزلة عموما ، من السلطة النبوية ، اخذت شكل الخلافة ، او استخلاف النبي امامة (قيادة المسلمين والمؤمنين · ومن النبي الى الامام ، اخذت السلطة اشكالا قيادية ـ لا مجال لدرسها هنا ـ ، ولكن لا بد من

التنويه بظاهرة **الخليفة ـ الامير** ، التي ستتحول في العصر الاموي الى ظاهـــرة **الخليفة ـ الملك** ، او فـــي العصر العباسي**الخليفة ـ الامبراطور** ، او **الخليفـة ـ السـلطان** فـــي العصور العثمانيــة والاسلامية المختلفة • امـــا ظاهرة **الخليفة الامام** التي مثلها لزمن قصير الامام علي بـــن ابي طالب في السلطة الاسلامية/الحكومـة الاسلامية/ ، فأنها ظلت على امتداد العصور فكرة محركة لحركات اسلامية كثيرة ، منها ما هـــو شيعي معتدل ، ومنها مـــا هو شيعي متطرف (ثوري اعتقادا وسياسة) • ان انشطار المسألة القياديـة \الصراع على السلطة\ بين الخليفة والامـــام انعكس بدوره على المامومين ، على المستفيدين من الخلافة والمتضررين مـن السلطة • وهذا الانشطار في المستويين الامامي والجماهيري ، هو الذي يشكل البنية التاريخية لحركات المعارضة الثورية ذاتها •

■ في مقابل الاسلام الظاهري،العلني ،النصوصي ،السلطوي نجد اسلاما باطنا ، سريا ، قدسيا ، اعتراضيا ، تقوم فلسفته العامة على اكتناه الحقيقة فيما وراء الظواهر والنصوص ، فلسفة الحق الذي يشرع الحقيقة • هذه الفلسفة شغلت بدورها العالم الوسـيط والاسلامي والعالم الاوروبي القديم • ان جذور الحركات الباطنية تعود الى القرن الهجري الثاني ، حين اخذت فـرق صوفية ونحـل هرطوقية متطرفة تنسج لذاتها رؤية مختلفة لذلك العالم الاسلامي الذي كان يتخبط بين المتصارعين على السلطة وبين ضحايا هـــذا التصارع ذاته والاساس الفلسفي لهؤلاء الباطنيين هو التشيع ، لكن الا يصح القول ان المعارضة الاسلامية(الثورية والديموقراطية) هو الذي دفع بالحركات الباطنية من المستوى الاعتقادي الى المستوى التاريخي ؟ • ان العناصر التي تالفت في الاســلام ، عناصر العرب والشعوب المتاسلمة ، المستعربة وغير المستعربة ، قدمت لاول مرة في تاريخ البشرية مجالا لتحقيق عالمية ، او اممية ، انسانية فريدة من

نوعها • وفي هذا الافق وجد المسلمون ان عليهم ان يجتهدوا ، سواء لاغلاق ابواب السلطة في وجه الطامحين اليها ، وذلك بأن غلفوها وحجبوها بنصوص ظنوها كافية لتحجير الواقع الاجتماعي اضف المحيط بها والمتحرك من تحتها ، وسواء لدك سجون السلطة وفتح بالنصوص المختلفة (التأويل الباطني) وبالقوة الجماهيرية المنتظمة على اسس اعتقادية تغييرية (ثورية العلاقات) • وكان ذلك العالم المختلف تركيبا وتوجها ، يصارع عوالم خارجية ، الآسيوي منها والاوروبي بشكل خاص • وكانت كل فئة قبلية ، قومية (اثنية) ، مذهبية ، الخ ، تدلي بدلوها في خضم القوى المتصارعة ، والمتصاعدة حتى نقطة : الكل او لا شيء ، فوراء الذهنية السامية والاسلامية، يصل الخيار الاعتقادي الى نقطة اللارجوع : اما التوحيد او الشرك، اما العدل المطلق او الظلم المطلق الخ • هذه الذهنية الاطلاقية التي تشكل اساسا للاعتقادية الاسلامية التوحيدية ، ستعكس نفسها في مرآة الحركات الاجتماعية ، فاما الانصهار المطلق في المتحد السلطاني ، او المعارضة المطلقة لهذا المتحد ، ومثل هذا الموقف نستنتجه ، بجلاء ، من بواكير الحركة الاسماعيلية ، بجذورها المعرفية (الايرانية والسريانية واليونانية والاسلامية العربية) وبمسارات تأطيرها القيادي الفوقي والجماهيري المتواصل • وهذه الحركة وما اتصل بها او تفرع عنها ، هي ثورة في الثورة الاسلامية ، بنظر قادتها • وهي بنظر اعدائها وردة ثورية ، زندقة هرطوقية، على الاسلام السني ، الحنيف ، الاصيل • فأين هي حقيقة هذه الحركة ؟ ان رصداً تاريخيا لمقومات الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية يعتبر من الجهود الثمينة والجوهرية ، لكننا نعتقد ، بكل تواضع علمي ، ان ذلك يفوق حدود هذا الكتاب،بل يفوق امكانات المؤرخ الاجتماعي الفرد • فلا تزال الجذور الاجتماعية العربية والاسلامية الوسيطة لاخوان الصفا ، مشرقا ومغربا ، تدعو كثيرا من الباحثين الى تجذير معلوماتهم وتدقيقها في ضوء التاريخ الثوري للعرب وللاسلام •

■ ان مصداقية المراجع التاريخية هي الشاغل الاكبر للمؤرخ الاستاذ برنارد لويس ، ولا عجب اذ كرس معظم جهوده لاكتشاف الحقيقة من خلال نقده المتواصل للمراجع المعادية ـ كما يسميها ـ التي اضطر لاستعمالها في التاريخ للاسماعيلية والفاطمية والقرمطية · واننا نلاحظ كيف يضع برنارد لويس تاريخين متواصلين في آن : تاريخ المصادر والوثائق والمعلومات ، وتاريخ الحركة الاسماعيلية المستنبط من هذه المصادر · ويعتبر النظر العقلي في صحة المراجع شرطا ضروريا لموضوعية الكتابة التاريخية ، ولويس اذ يعتمد على كل المصادر التاريخية المتوفرة ، فانه لا ينزلق منحازا الى معلومات دون اخرى ، بل يقارن ويفاضل بحثا عما يفترضه الحقيقة التاريخية فهل ادرك لويس هذه الحقيقة التاريخية للتشيع الثوري في الاسلام من خلال حركات اعتراضية كبرى كالتي يدرسها في هذا الكتاب ؟

على مستوى المصادر ، يبدأ برنارد لويس بالنظر في المصادر الاسلامية السنية الخاصة بالباطنيين عموما ، وبالاسماعيليين خصوصا·ويقسم هذه المصادر على ثلاثة مراحل :الاولى مرحلة الطبري والمسعودي ، والثانية مرحلة ابن الاثير ومسكوية،والثالثة مرحلة عبداللهبن رزام(اوائل القرن الهجري الرابع،الميلادي العاشر)، اخو محسن ، المقريزي ، والنويري · ويصف برنارد لويس هذه المصادر بأنها « تاريخية سنية » ، ويتممها بمصادر اخرى يصفها بأنها « سنية دينية » · ولا ندري هنا ما هو المعيار الذي يعتمده الاستاذ لويس لاقامة الحد ما بين الديني والتاريخي في هذا المجال من البحث الذي يتصل فيه التاريخي بالديني اتصالا جدليا لا انفكاك له ؟ انه يرى ان هناك مؤرخين اسلاميين دافعهم الاساسي هو الكتابة التاريخية النزيهة ، وهناك مجادلين اسلاميين ـ او كلاميين ـ هاجسهم الرئيسي هو الدفاع عن الاسلام السني في وجه معارضيه·

وهؤلاء واولئك يشكلون مادة مرجعية للمؤرخ ، ولكن هـذه المادة ليست متكافئة من حيث الاهمية ولا من حيث المصداقية ، فالذي يؤرخ غير الذي يجادل· واذا استلزم الجدال الديني مادة تاريخية يستنجد بها ، انما يكون الاستلزام هذا بدافع تبريري او تحريضي ، لا بدافع تفسيري او تأريخي · المعرفة هنا تغدو وسيلة الاعتقاد ، لا للعلم · ووراء استخدام الاعتقاد والعلم نجد السلطة ، كما نجد بالطبع ، الصراع الاجتماعي على السلطة · ومثال ذلك ان كتاب ابي الحسن الاشعري (القرن العاشر) «مقالات الاسلاميين» ،يطرح هذه المسألة La problématique : ففي هذا المرجع معلومات غزيرة وقيمة عن التاريخ الاسلامي ، لكنها معلومات جدالية ، موضوعة انطلاقا من موقف صراعي مسبق ، من انحياز ايديولوجي ، فماذا يبقى اذن لهذا المرجع من قيمة علمية ؟ وهل يمكن استقاء معلومات تأريخية من مجادلات فلسفية وايديولوجية وسياسية كمجادلات الاشاعرة والمعتزلة ، وصولا الى صراعات اهل السنة وغلاة الشيعة والشيعة وكل القوى المعارضة ؟ ان المصادر التاريخية السنية تمتاز ، اذن ، عن المصادر السنية الدينية ، بأنها توخت الاعلام التاريخي،في حين ان الاخرى توخى واضعوها الدفاع التاريخي عن مذهب وعن سلطة· ويندرج في جملة هؤلاء المدافعين الاشاعرة ، فضلا عن الاشعري نفسه ، الفقيه عبد القادر البغدادي ، وابو المعالي وابن حزم والشهرستاني ··· الخ · ومن هاتين المجموعتين من المعارف التاريخية والدينية،يبني الاستاذ برنارد لويس قاعدة بحثه التاريخي مستفيدا من « النمو التدريجي لمعلومات السنة عن الباطنية » ·

وبعد المصادر السنية ، يستند برنارد لويس الى المصادر الشيعية التي يفترض انها اكثر تلازما وتساوقا مع نمو الحركة الباطنية ، والاسماعيلية بخاصة ، نظرا لاتصال واضعيها بالاسماعيليين انفسهم · لكن ، من الملاحظ ان الصراع بين الشيعة الاثني عشرية

وبين الشيعة الثوريين (الغلاة) لا يقل ، تاريخيا واعتقادا ، عن صراع هؤلاء وأولئك مع السنة انفسهم · فنحن في الواقع امام ثلاث قوى تاريخية متعارضة ومتصارعة : قوة في صلب السلطة ، وقوة شيعية تعارضها للوصول الى موقعها ، وقوة ثورية تريد في النهاية تجاوز القوتين معا · واذا قارنا هذه النظرة التحليلية بنظرة علمية الى تصنيف المراجع ، لامكن القول اننا امام مراجع اسلامية (سنة وشيعة)من جهة، وامام مراجع اسماعيلية ـ فاطمية ـ قرمطية ـ درزية من جهة اخرى · ومعنى هذا التصنيف ان حلقات الايلاف الاسلامي ، المبررة اعتقاديا ، لا نكاد نجد لها تبريرا تأريخيا · هنا المؤرخ والاعتقادي يتضادان · وقد لا يخفى ذلك على الاستاذ لويس لو تساءل : من هو المسلم ومن هو الثوري في الاسلام ؟ من هو القابل ومن هو الفاعل ؟ من هو المنقاد ومن هو القائد ؟ وما هي القوى الاجتماعية التي تمثلها هذه التكوينات الاعتقادية والحزبية في حركات التطور العربي الاسلامي الوسيط ؟

■ ان مواجهتنا النقدية للمصادر الاسماعيلية تفترض فينا امرين متلازمين : استقصاء المعلومات التأريخية والوقائع السوسيولوجية من جهة والتحفظ أمام التوجهات الاعتقادية الموسومة بتوجهات الدعوة الاسماعيلية ذاتها من جهة ثانية · واذا اجزنا لانفسنا ، في سياق البحث التاريخي ، ان نؤرخ للدعوة نفسها كواقعة سوسيوتاريخية ، فاننا لا نجيز لانفسنا الخلط ما بين التاريخي والدعائي · بالطبع من حق الاسماعيليين ان يقدموا صورة عن تاريخهم ، شهادة عن تطورهم ، ولكن من حق العالم ، بل من واجبه،ان يدقق في ملامح هذه الصورة،وفي منطوق هذه الشهادة· والكتابة التاريخية النقدية لا تجيز تجميع المعلومات وسردها(تاريخ حدثي) بل تستوجب محاكمتها عقليا ، والتأليف بينها ، وصولا الى رسم معالم المنظومة التاريخية الاسماعيلية ، المنظومة المروية ،

المفهومة ، المفسرة في ضوء النقد العلمي، بعيدا عن المعية والضدية الفلسفيتين نحن لا ناخذ علىالدعاة الاسماعيليين وضعهمالكتب،كما فعل الداعي الاسماعيلي ادريس اليماني في موسوعته التاريخيـــة (عيون الاخبار) ، او كما فعل ، قبله ، قاضي قضاة المعز، القاضي نعمان حين حاول التاريخ للدعوة الفاطمية ولابتداء الدولة الفاطمية ذاتها • انما ناخذ على المؤرخ المعاصر ان ينحـاز في مصـادره ، فينحاز حكما في كتابة التاريخ،الذي يفترض ان يكتب بالاستناد إلى المـــراجع المتوفرة ، المنشـــورة والمخطوطـة ، وفقـــا لمعياريـة Critésiologie علمية صارمة ، ولتدقيق حازم فـــي مصداقية المعلومات وانطباقها العقلي والواقعي علـــى مجريـات التاريخ •

وبعد المطالعة الاجمالية للمصادر المعتمدة ، تتوضح صورتان للعقبات الكبرى التي تعترض سبيل المؤرخ :

الصورة الاولى

خلاصة المصاعب المرجعية المتشخصة ، كما يرى برنارد لويس ، في : أ) الدس على الاسماعيليين والباطنيين عموما •

ب) سرية الحركة الباطنية اي اخفاء بعض الحقائق الكبرى•

ج) الالتباس بين الشخصيات الحقيقية والشخصيات المموهة

د) الالتباس بين انساب الباطنيين بسبب عقيدة التفويض •

الصورة الثانية :

خلاصة المعضلة التاريخية،معضلة المضمون التاريخي للحركة الاسماعيليين والفاطميين والقرامطـة • فالمؤرخ يجد نفسه امام

حركات متقاربة ، او متناظرة ، لكنه لا يعرف كيف يقيم الجسر فيما بينها • ومثال ذلك : الدعوة الاسماعيلية في القرن الهجري الثاني ، والدعوة الاسماعيلية في اليمن وشمال افريقية حتى تأسيس الدولة الفاطمية ، واخيرا الحركة القرمطية في الهلال الخصيب (مطلع القرن الميلادي العاشر) ، ثم القرامطة انفسهم • فماذا يمكن القول في هذه الاطوار من الدعوات ؟ هناك باحثون لامعون يذهبون في القول « ان الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية اسماء مختلفة لحركة واحدة » • وهناك آخرون يرون فيها اسماء مختلفة لحركات مختلفة. فاين هي الحقيقة التاريخية في هذا الالتباس وهذا الافتراض ؟ ان هذه الاسئلة وسواها تهيب بالمؤرخ ان يعود الى الجذور ، الى اصول الاسماعيلية ذاتها • فماذا وجد وراء هذه الجذور ؟

ان الجذري في التاريخ هو اظهار اصول الحركة الاجتماعية ، وتعيين معالم تطورها والنتائج التي وقفت عندها • وهذه الجذرية في الكتابة التاريخية المعاصرة قد لا تقل ، ثورية ، عن عمق التوجه الثوري للحركات المدروسة ذاتها • فنحن لسنا في معرض تقبل تاريخي لمعلومات مصنفة بصيغتها الاخيرة ، وانما نحن امام معلومات ملتبسة ، تبحث عن صيغة تاريخية • وتجذير الكتابة التاريخية هو حدث ثوري بذاته • فالنظر الى التاريخ الاسلامي ، من داخله ، يتطلب منهجا علميا جديدا ، منهج المقارنة ، بدلا من منهج التلبيس والتوجيز السائد ، منهج التعميم والتبسيط • فالتشيع مظهر اجتماعي من مظاهر الصراع التاريخي عند الشعوب ، فقد يكون تشيعا دينيا وسياسيا ، كما يمكنه ان يكون اقتصاديا ، او طبقيا ، ثقافيا او شعبيا (او شعوبيا) او قوميا الخ • والتشيع الاسلامي امتاز بظهوره ، اولا ، في ظروف الخلافات العربية على السلطة ، فعرف ذلك بالتشيع العربي ، او بالتشيع الشامي ، مقابل ما سيسمى ، فيما بعد ، بتشيع الموالي ، او التشيع الاعجمي • وقد امتاز الانتقال من

التشيع العربي الى التشيع الاعجمي (دون ان يتنافيا) بظهور فكرة اعتقادية خطيرة هي فكرة المهدي ، الامر الذي يعني تجديد الصراع على السلطة بتأكيد حق الامام (المقبل دائما) في السلطة ، وعدم حق الخليفة في ما يمارس من سلطان · في هذا الصراع ستندرج ، اذن قوى اجتماعية واسعة ، متعددة الاصول والجذور ، ولكنها تتلاقى في حمى المعارضة للطبقة المتكونة حول اسلام الخليفة· فبين اسلام الخليفة واسلام المهدي ، ستأخذ صورة النقيض التاريخي بالتكون ، لتفرض نفسها حيث تستطيع القوى المتصارعة ان تفرضها· ان المهدية تعني ، فلسفيا ، الانحياز للمستقبل ، توقع الافضل من الاتي ، وبالتالي تعني عدم الركون للقائم الحاضر · لهذا اتسم هذا النوع من التشيع المستقبلي بالثورية ، لان شعاره الضمني هو : المهدي آت ، اذن ، التغييرممكن ، وممكن ايضا انقلاب الجور الى عدل · هؤلاء الباحثون عن العدل في عالم ظالم ، سيجدون انفسهم مجددا في اطار اسلام تقليدي وفي اطار اسلام تجديدي،اسلام قابل واسلام فاعل·انه بالطبعاطار تصارعي،والاسلام الفاعل بالنسبةالى القوى المظلومة والمقهورة هو الاسلام الثوري الذي لا معنى له بدون قيام ثورة اجتماعية تؤدي الى مجتمع ثوري و دولة ثورية · فاذا كانتعقيدة المهدي غيبية من جهة ، فأنها مستقبلية من جهة ثانية : واذا كانت رجعية بمعنى انها ماضوية ، فأن المسترشدين بها يطمحون الى المستقبلية طموحا مختلفا عن الاخرين الذين يرون الاسلام تكرارا سلطويا لما هو قائم ، ويعتبرون الثورات – زندقات وهرطقات – · ان تاريخ التشيع الثوري هو تاريخ الصراع الاسلامي الداخلي على السلطة ، هو تاريخ القوى الاجتماعية التي وجدت في الاعتقادي سبيلا الى الانتقادي ، وفي التنظيم السري سبيلا الى اسقاط ما هو علني · ان معرفة الامام هي شرط الانتماء الثوري الى التشيع ، ولكن هذه المعرفة ليست سهلة ، فالامام غير قائم في عصره تارة ، وهو غير مستقر تارة · فأين يجد المنقاد قائده ؟ المأموم امامه؟

لقد ابتكرت العبقرية الثورية ـ التبطين لاجل تظهير الصراع فيما بعد ـ نظرية « تفويض القيادة / الوصاية بالقيادة » حين جعلت الامامة موروثا وابداعا في آن ، فالامام الموروث من اصل معروف ، يمكنه الاستيداع في امام جديد ـ هذه النظرية تدخل نمطا من ديموقراطية الثورة على الفكر الاسلامي التغييري : كما ان الانقسام الجديد للمجتمع العربي في العصر العباسي اخذ يفرض التقسيم الاقتصادي للطبقات بديلا لتقسيمها على اساس النسب والعنصر ـ فلاحظ برنارد لويس «انتقال الخلافة من دولة زراعية عسكرية الى امبراطورية تجارية عالمية » • وفي ظروف هذا الانقلاب الكبيرة في بنية المجتمع والدولة الاسلاميين،كان من الطبيعي ان يأخذ الصراع الاجتماعي على السلطة مجراه التطوري ، بدءا من القرن الهجري الثاني الذي تأصلت فيه اصول الثورات ، مرورا بالقرنين الهجريين الثالث والرابع اللذين شهدا منظومة من الثورات والصراعات التي اقترنت ، غالبا ، بطابع التشيع الثوري ذاته ، فأعطاه شكلا ومضمونا كان يفتقر اليهما في مرحلة الدعوة التثويرية •

ان جذور الاسماعيلية نجدها في الظروف الاجتماعية والتاريخية المذكورة ، كما نجدها في شخصيتين قياديتين خطيرتين : شخصية اسماعيل وشخصية ابي الخطاب ، اللذين سعيا معا لتأسيس حركة شيعية تغييرية ، تمتد الثورة اسلوبا للوصول الى السلطة • وهذه الحركة امتازت بالوحدة ، شكلا ومضمونا وقيادة • وهنا لا بد من التأول النقدي فيما نسميه **التواصل القيادي** في الاسماعيلية من خلال نظرة الابوة الروحانية او البنوة الامامية•ان هذه النظرية ترمي الى ابراز عدم الانقطاع بين الامام وتلميذه من حيث العلاقة الروحانية • وان الترجمة السياسية لهذه العلاقة ستكون ذات خطر ثوري كبير : فهذا الابن النفساني للامام ينقلب قائدا بمواصفاته نفسها ،قائدا مفوضا لكنه لا يحق له ان تستقر القيادة في ذريته،اذ لا بد من

اعادتها من المستودع الى المستقر • وهذه الجدلية ما بين المستقر (الثابت) وبين المستودع (المتحول) ادخلت كثيرا من الديناميكية على حركة متلاينة وحساسة في مواجهتها الدعائية والعنفية لعالم يقهرها ويظلم المؤمنين بها •

ومن جذور الاسماعيلية الى جذور الفاطمية ، يبرز هذا الخيط القيادي ، القائم على الاعتقاد في امامة التفويض والاستيداع ، على مبدأ الابوة الروحانية الناشئة عن « ملازمة شخص لآخر معين » • وعليه فأن التلازم القيادي كاف بذاته للتوالد القيادي ، لانتقال الامامة من المستقر الى المستودع ، وكلاهما ـ كما نرى ـ الماثل والمثول،من رموز التغيير الذي يراد به تعبئة«السواد»،أي الفلاحين بخاصة ، ووراءها ، مع نخبة من العلماء والمفكرين الذين يطمحون الى أفق اخر • ولقد سمي مبدأ التوالد القيادي هذا باسم «التنشيء»» ومفاده : « ان يخلق بين المنشيء والمنشأ صلة روحانية شبيهة بالصلة النسبية » • ومما يلفت النظر هو ان هذا المبدأ الديموقراطي في اساسه ، نجده في حركات التشيع الثوري بعامة ولدى الاسماعيليين والفاطميين والقرامطة والدروز (استخلاف الائمة والحجج يعتمد ابدا على الابوة الروحانية وليس على الابوة الجسمانية) •

ان الاستيداع والاستخلاف القياديين يعنيان ان القيادة شأن يورث تارة ، وشأن ينشأ عليه الافراد الملازمون لحركة التاريخ • والمستعدون لتأدية ادوار ثورية تارة أخرى • فالتفويض او التعيين القيادي يعني،ترميزاان القيادة رهينة برجالها القادرين•فالاستخلاف هو روحاني ، معنوي،والديموقراطية هنا تعني ان الجميع معنيون بشؤون القيادة •لكن الا يحد الربط ما بين المستقر والمستودع من هذه الديموقراطية الثورية ؟ انه في واقعه يقيم توازنا ما بين الموروث

والمتجدد ، بين المعطى والمتغير · فاذا كان المستقر اصـل القيادة ، فان المستودع هو الذي يمارسها بكل معنى الكلمة · وهذا الاخير لا يستطيع تفويضها ، والاستخلاف عليها ، لان امتلاك القيادة ليس في ذريته ، انما في ذرية الامام الاكبر ، مستودع اسرار الامامة الذي يمكنه وحده تفويضها لمن يخلفه· انها في ظروف الملكية السلطوية ، نظرية ثورية انتقالية ، لانها تجيز التوالي على القيادة لمن تبرز فيه الكفاءة القيادية ، بغض النظر عن نسبه وطبقته وجنسه الخ · هذا التثوير لمفهوم القيادة يستحق بذاته اهتمام المؤرخين وهم يسعون الى تأريخ الصراعات القيادية على سلطات المجتمع والدولة·ولهذا فان الالتباس حول نسب القائد الاسماعيلي ـ الفاطمي ـ القرمطي ـ هل هو من سلالة علي أم لا ، سيبدو دون قيمة ، طالما ان الاساس النظري للامامه قد تطور في اتجاه اكثر ديموقراطية ، للعلاقات مـا بين النخبة القيادية وبين اتباعها ، الذيـــن بأمكانهم ان يستودعوا الامامة في احدهم · يقول برنارد لويس : « يتضح ان هناك فرعين لنسب الائمة احـدهما العلويـون المسـتقرون وثانيهما القداحـون المستودعون ، وذلك خلال عهد الغيبة المبتدىء بمحمد بن اسماعيل وعبدالله بن ميمون القداح ، والمنتهي بسعيد الخير والقائم ، الخليفة الفاطمي الشرعي الاول » · واذا كان من واجب المؤرخ ان يتقصـى القرابة القيادية والاعتقادية ما بين حركات تنتمي بشكل او بآخر الى التشيع الثوري ، واظهار مالاشخاصها من فضل عليها ، ومالهم من اخطاء وأخطار ، فان من حق القارىء العربي وغير العربي ان يعرف ما هي تلك الحالة التاريخية المشتركة التي كانت تستلزم تكتل قـوى اجتماعية وقومية شتى لمواجهة الارستقراطية التي ارادت ان تجعل الاسلام رمزا لانتصارها في السلطة ، واداة لسيطرتها على السلطة· واكثر من ذلك الا نجد في الوقائع التاريخية ذاتها مـــا يجعل قوى التشيع الثوري تندفع بشكل طبيعي في صراعها الاجتماعي لاجـــل السلطة، انطلاقا من اسقاط الطبقات الظالمة ·؟ السنا نجد في الاساس

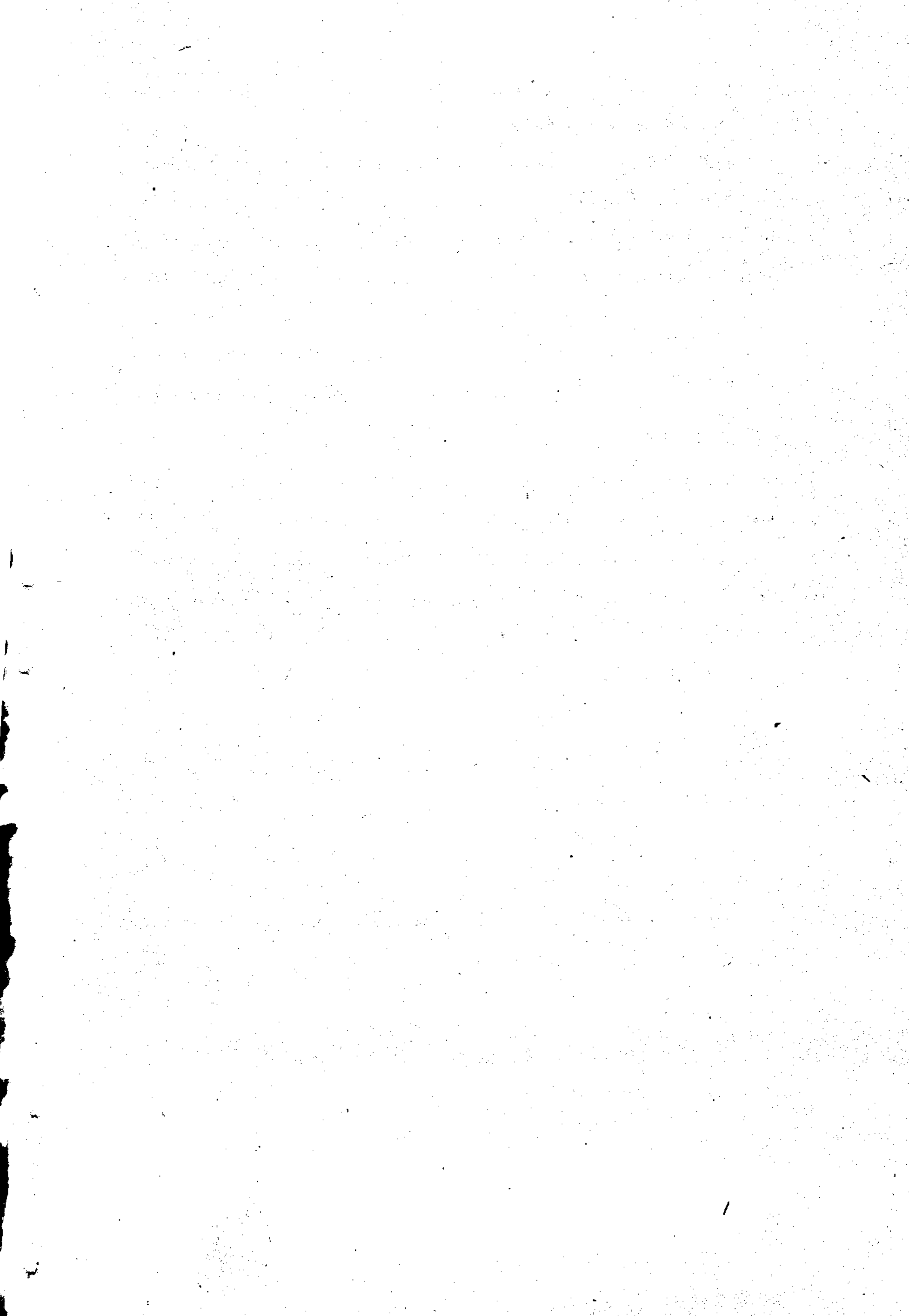
الاجتماعي للدولة الاسلامية الوسيطة قاعــدة للثورة عليها ؟ والا فكيف نفسر ثورة الزنج وحركات القرامطة ، والدعوات الاسماعيلية والفاطمية ، وكل دعوات المعارضة السياسية في الاسلام ؟ وكيف وصل ابن رزّام ، مثلا الى القول « ان الاسماعيليين كانوا يبشرون بأن الشرائع لم تسن الا لتقييد الجماهير وصيانة المصالح الدنيوية للطبقة الحاكمة · اما المثقفون فلا حاجة لخضوعهم لها » ؟ وهــل ينتمي القادة الثوريون الى هذه النخبة المثقفة التي لا حياة لها دون النضال لاجل التغيير وتثوير القاعـدة الجماهيرية للمجتمـع الذي تعاني من قهر سلطته ؟

ان المغزى الاخير للتشيع الثوري هو انه احال الوعي الديني الى وعي ثوري ، ودفع بالصراع على السلطة مـن موقعه الدينـي المحرم الى موقعه الاقتصادي المحلل ، وتمكن بذلك من تكتيل جماهير الانتاج ، من السواد الاعظم الى الحرفيين واصحاب المهن ، حـول القوة الجديدة ، التي تريد من اعتراضها العقائدي ، مدخلا للتغالب الطبقي على السلطة ذاتها · اليس هذا هو المغزى التاريخي لتتويج حركات التشيع الثوري ببناء جماعة متساويــة ، وبتنظيم علاقاتها على اساس التداخل الاعتقادي والتملك الجماعي ؟

ان تاريخ المجتمعات العربيـــة الاسلامية لا يمكنه ، بحال ، ان يكون تاريخ ذلك الركون السلطوي والبنى الفوقية ، ولا بد للمؤرخين، حتى ينصفوا التاريخ الاجتماعي للعرب ، من كتابة التاريخ العـام للصراع في كل مستوياته ، وبشكل خـاص في مستويـــات القوى التحتية ، التي تنتج الاقتصاد والثقافـــة والصراع الطبقي · فهـل يرشدنا كتاب برنارد لويس الى احد جذور هذا الصراع الكبير ؟

بيروت ـ كانون الاول ١٩٧٩

د· خليل احمد خليل



مقدمة الطبعة الانكليزية

في كل حضارة حركات لثورات اجتماعية وعقلية تعبر عن رد الفعل عند الجماعات المظلومة المضطهدة الساخطة على الاوضاع السائدة في تلك الحضارة ٠ وتاريخ هذه الحركات ـ الذي يكتبه أعداؤها غالبا ـ ذو صعوبات معينة وذو قيمة فذة للمؤرخين ٠

وكان لا بد من تلك الحركات في العصور الاسلامية الوسطى ، وفي مثل ذلك المجتمع الخاضع للعقلية الدينية ، المجتمع الذي تكون الدولة والدين فيه شيئا واحدا ، والخروج على الدولة والخروج على الدين سيان ٠ أقول كان لا بد لمثل تلك الحركات في مثل ذلك المجتمع أن تصطبغ بالصبغة الدينية ، وأن توسم بالزندقة وبثورية العقيدة وتمرد السلوك ٠ واننا لنجد في العصور الاولى للاسلام مجموعات من الفرق أثارت عليها غضب رجال الحكم ورجال الدين لنضالها ضد الدولة والدين معا ٠

واهم هذه الفرق ـ وأكثر ما نعرف عنها من كتابات أعدائها ـ تلك الفرقة المسماة بالاسماعيلية او الاسماعيليين (أو بالباطنية او التعليمية ٠٠٠ الخ أسمائها) ٪ وسرعان ما حازت على أهمية : فاقت اهمية منافسيها ، وأوجدت ما يهدد المجتمع السني ٠ فقد ظل دعاتها،

قرونا عدة ، يثيرون الثوارات على الخلافة العباسية في كل انحائها، وظل فلاسفتها يحكمون انشاء مذهب ديني ليحل محل المذهب السني . ومما زاد من اهمية الفرقة صلتها بظهور الدولة الفاطمية ، اقــوى دولة في تاريخ مصر الوسيط . الا ان هذه الصلة اوجدت مشاكل تاريخية كثيرة ما يزال أغلبها ينتظر الحل المقبول .

ولم يظهر بحث تأريخي مفصل عن أصول الحركة الاسماعيلية منذ صدور كتاب دو خويه (De Goeje) « Memoire sur les carmathes » سنة ١٨٨٦ (وقد تيسر لنا من المعلومات الجديدة المتنوعة الهامة بعد صدور هذا الكتاب ـ وان كان ما يزال كثير غيرها مجهولا في مكاتب الاسماعيلية في الهند واليمن ـ ما يساعدنا على اعادة النظر في حلول المشاكل وتقديرها تقديرا جديدا .

وأحب ان اعترف بما أنا مدين به للويس ماسينيون الاستاذ في الكوليج دي فرنس Le collège de france فقد كان لمساعدته وارشاداته لي في اثناء اشتغالي بالكتاب قيمة لا تقدر ، وأني اسجل شكري للاستاذ جب Gebb الاستاذ في أكسفورد لمساعدته وتشجيعه اياي ، والى الاستاذ تريتن الــذي تحمل أتعاب قــراءة المسودات ، والاستاذ N. H. Baynes والدكتور بول كراوس ، والدكتور هيورث دن ، والدكتور صديقي والاستاذ عباس اقبال والاستــاذ م.هـ . الاعظمي لمــا ابـدوه لي من المساعـدات والاقتراحات .

ولا بد ان أعترف بالفضــل لامناء مكتبة مدرســة الدراسات الشرقية والافريقية في لندن ، ومدرسة اللغات الشرقية في باريس ، ودار الكتب المصرية في القاهرة لتلطفهم الكثير ومساعدتهم الوفيرة.

ولا انسى أن اقدم شكري لاصدقائي من الاسماعيليين في مصياف Masyaf وسلمية وغيرهما فقد افادوني كثيرا ·

وهذه الدراسة طبعة منقحة مصلحة لرسالة نالت درجة Ph. D. من جامعة لندن ، واني لاتقدم بالشكر الى لجنة الطبع في هـذه الجامعة التي هيأت للكتاب مجال طبعها ·

كمبرج ، كانون الثاني (يناير) ١٩٤٠ برنارد لويس

تقديم الطبعة العربية

انه لمن دواعي الفرح والفخر ان اكتب هذه الكلمات مقدمة للطبعة العربية لكتابي « أصول الاسماعيلية » · والحركة الاسماعيلية ـ بمفهومها المتعارف ـ احدى الظواهر الهامة في العصور الاسلامية الوسطى : فقد أوجدت ، في المجال السياسي ، الدولة الفاطمية العظيمة في أفريقية ومصر ، والجمهورية القرمطية في البحرين ذات الاهمية الفذة لتفرد نظامها الداخلي · وأثرت في المجال العقلي : في التفكير كما في نتاج جماعة من الكتاب والشعراء كالمتنبي والمعري وابن هاني وأصحاب رسائل اخوان الصفا · وعبرت في المجال الاقتصادي والاجتماعي ، بشكل اوضح مما عبرت عنه اي حركة اخرى ، عن التناقض والتصادم اللذين لا بد منهما في كل حضارة معقدة ، نامية ، واسعة الانتشار ، كما عبرت عن طموح الانسان الابدي الى تحقيق مجتمع جديد ، أقرب الى المساواة · ولكن الحركة كانت زندقة في نظر الدين ولهذا فقد لف الغموض أكثر تاريخها ولا سيما ما يختص بجانبها غير الديني وذلك للكراهية التي أثارتها على نفسها ، ولزوال غالبية كتاباتها ـ نتيجة هذه الكراهية ـ في الشرق الادنى · الا ان عثورنا حديثا على كثير من الكتابات الاسماعيلية عند بعض الاسماعيليين في الهند واليمن وفر لنا امكانا لتقدير جديد لهذه الحركة، ولدورها الصحيح الذي لعبته في تاريخ الاسلام· وهذا

الكتاب الصغير في طبعته الاولى سنة ١٩٤٠ ما هو الا محاولة لبحث جديد في مشاكل عدة من تاريخ الاسماعيلية على ضوء ما وقفنا عليه من المعلومات الجديدة والقديمة ، ولتمهيد الطريق امام الباحثين .

لندن ١٩٤٧ برنارد لويس

٢ ـ توطئة :

نظرة في المصادر

هزت بلاد الخلافة العباسية ـ في اثناء العصور الاسلامية الوسطى ـ حركة دينية اجتماعية فلسفية سياسية معا ، هدت كيان الحضارة الاسلامية زمنا ما ، وتوقفت ـ عندما بلغت ذروتها ـ في انشاء خلافة مناوئة للخلافة العباسية السنية في بغداد ، خلافة أقل ما توصف به انها تساويها رفاهية وقوة ٠

ابتدأت الحركة الاسماعيلية او الباطنية ـ ولنسمها باثنين من أهم اسمائها التي عرفت بهما ـ في القرن الثاني للهجرة ، من مزيج من نحل صوفية هرطقية غالية متطرفة ، جلها من الشيعة ، وربما كان بعضها من أصول فارسية قديمة او سريانية غنوصية ٠ ولقد ظهرت ـ في القرون التي نمت فيها وسادت ثم تدهورت ـ بأشكال مختلفة متباينة في المبادىء والتنظيم ٠ فهي ان استمرت في ضم فرق جديدة اليها ، ذات افكار جديدة من جهة ، فقد استمرت من جهة اخرى في انقسام دائم الى شعب وفروع جديدة ، غالبا ما يصادم بعضها بعضا ٠

فالعصابات القرمطية المرعبة التي شنت من قاعدتها في البحرين

غارات متتابعة جريئة فيها انتهاك لحرمة المقدسات ، أفـزعت العالم الاسلامي في القرن الرابع الهجري ، والخلافة الفاطمية في القاهرة بعاصمتها ذات المدنية الزاهرة وبحياتها العقلية الراقية وجماعـــة اخوان الصفا الموسوعيين الذين حاولوا ان ينشروا الفلسفة والمعرفة بين الجماهير في القرن الخامس الهجري والحشاشون المرعبون في سورية وفارس في القرنين الخامس والسادس للهجرة ـ كل أولئك مظاهر مختلفة لحركة واحدة حاولت وكادت ـ باستيعاب تعاليمها وبغاياتها البسيطة ـ تنجح في توحيد شعوب الشرق الاسلامي كلها، بغض النظر عن عقائدها وأحوالها الاجتماعية والدينية السائدة في ظل الخلافة الوسيطة ·

أتيحت للحركة فرصة حسنة لتوجيه موجـــة الاستياء الديني والاجتماعي التي كانت تسود بلاد الخلافة وقتئذ ، وذلك باستعمالها حق العلويين الشرعي منهاجا سياسيا لها (مع تعديلات سنراها) وبالمزج الخفي لكل العقائد والفلسفات مع اتجاه داخلي قوي لتحكيم العقل في كل الامور كمبدأ لها ، وباستغلال التذمـــر الاجتماعي ، واستخدام التنظيم الدقيـق كعنصر هام لفعاليتهـــا ·ومما زاد في مشقة البحث تحامل المصادر المعادية التي اضطررنا للاعتماد عليها في اكثر مراجع هذا الكتاب ، اذ ما زالت أخبار الحركة الاسماعيلية مضطرة ان تعتمد كثيرا ـ في أدوارها الاولى على الاقـــل ـ على كتابات غير الاسماعيليين رغم مـا يشوبهـا من عيوب من جـــراء الجهل والتعصب ·

ولا يقع اللوم كله على كتّـاب السنة والشيعة الاثني عشريـة الذين رووا لنا القصة ، اذ أن تكتم الحركـــة ، ونظامها الشـــبيه بالماسونية ، والحجاب الكثيف الذي يخفي عقائدها واشخاصها على

غير المنتمين اليها ـ كل ذلك صعب مهمة المؤرخ وحال دون فهم أصولها فهما صحيحا واضحا حتى عصرنا هذا ·

الا ان اكتشاف وثائق جديدة ، وتدقيق القديم منها مكنا الباحثين من دراسة علمية لتاريخ الاسماعيلية في فجرها الاول فقام أمثال لويس ماسينيون Lowis Massignon وكراوس Kraus وايفانوف Ivanow والهمداني وغيرهم ، بدراسات سارت بالموضوع خطى واسعة · ولكن الدراسات ما زالت مع هذا مقتصرة ـ الى حد كبير ـ على ناحية الادب والعقيدة للحركة · أما الناحية التاريخية فقد ظلت) الا في مسألة او مسألتين ـ كما تركها دو ساسي De Sasy ودو خويه De Goeje والصفحات التالية محاولة لتمهيد الطريق لدراسة عامة لاصول الاسماعيلية ·

* * *

يظهر لنا أنه من الافضل ان نبدأ بمناقشة ما بين أيدينا من المصادر الاولية · واننا ـ وان درسها بعضهم قبلنا ـ لنرى من الضروري ان نحاول الانتفاع بها على ضوء ما تيسر لنا من مصادر جديدة استعملنا غالبيتها لاول مرة في هذا الكتاب ·

تتكون مجموعتنا الاولى من كتب التاريخ السنية · وفيها نستطيع ان نتبع المراحل المتتالية التي فيها توغلت المعلومات الصحيحة عن عقائد الاسماعيلية وعن تاريخ الفرقة الاول السري ، الى العالم السني ·

وقد اعرنا هذه المصادر بعض التفصيل لنوضح ادوار هذا

التدرج الهام ، ونستطيع ان نصنفه الى ثلاث مراحـــل تسربت في اثنائها تلك المعلومات · ففي أولاها لم يعرف المؤرخ سوى الفعاليات العلنية للفرقة · وفي ثانيتها عرف شيئا قليلا عن مدار الخصام بحيث لم تتكون فكرة عامة عنهـــا · وفي ثالثتهـــا بلـــغ العالم السني معلومات مفصلة عن الفرقة وعقائدها وأصولها وان لم تكـن دقيقة دائما · وتتميز هذه المرحلة ببيان بغداد الشهير الذي أعلن للملأ بأن الخلفاء الفاطميين دخلاء على العلويين خارجون على الدين ·

أ ـ المصادر التاريخية السنية

المرحلة الاولى :

أقدم ما نملك من مصادر هذه المرحلة هو كتاب المؤرخ السني الكبير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١١هـ ـ ٩٢٢م وهو يمثل أقدم مرحلة لمعلومات السنة عن الحركـة الباطنية تمثيلا واضحا : اذ أن اطلاعه على عقائد الفرق وعلى خلافاتها الداخليـة اطلاع قليل · فهو ـ على رغم اشارته الى ان زعماء القرامطة فـي سورية قد ادعوا بأنهم مـــن ذرية محمد بـــن اسماعيل بن جعفر الصادق ـ لم يدر في خلده ان يربط بينهم وبين المدعي الفاطمي الذي ذكر ظهوره في افريقية الشمالية · ويمكن ان نعتبر وجهة نظره ـ على العموم وجهة نظر الفرد البغدادي الاعتيادي في زمانه ، اذ لم يكن يعرف من المعلومات المأخوذة من التقريرات عـــن الحوادث الا قليلا ، والا نـــتفاً عرضية عن العقيدة · ويقتصر بحثه ـ المبتدىء سنة ٢٧٨هـ ـ ٨٩١م بأول دعوة في العراق ، والمنتهي سنة ٢٩٤هـ ـ ٩٠٦م بالقضاء على ثورة القرامطة في سوريـــة ـ على الحوادث الواقعة · وهو لم يحاول ان يبحث عقائد الفرقة اذا استثنينا لمحته الخاطفة عن كتاب قرمطي منسوب الى القرامطة ·

ووضع عريب بن سعد القرطبي سنة ٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م ذيلا لكتاب الطبري ينتهي بسنة ٣٢٠هـ ـ ٩٣٢م ، استعرض فيه ما جاء عند الطبري من معلومات خاصة بالسنين ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، واضاف اليها بحثا عن فعاليات القرامطة في البحرين بزعامة أبي سعيد وأبي طاهر ، وبحثا مفصلا خاصا بالدعوة الفاطمية في افريقية وبالنصر النهائي لعبيد الله المهدي • وهو كالطبري لم يربط بين الحركتين القرمطية والفاطمية •

ويخصص المسعودي المتوفى سنة ٣٤٤هـ ـ ٩٥٦م فى كتابيه مروج الذهب والتنبيه ، صفحات قليلة للقرامطة يصل فيها بتأريخهم الى وفاة أبي طاهر سنة ٣٣٢هـ ـ ٩٤٤م وهو يمثل تمثيلا واضحا مرحلة من المعلومات السنية عن القرامطة أحدث من التي يمثلها الطبري ، فقد قرأ ابن رزام واطلع على مبادىء الباطنية حتى نظام التأويل الباطني ومراتب التنشيء وأدرك العلاقات بين القرامطة والفاطميين في افريقية واليمن (١) •

ولكن المسعودي ـ للاسف ـ لم يكد يتجاوز التنويه بهذه الاشياء • وما فقراته في التنبيه الا خلاصة كتاباته المفصلة في هذا الموضوع ، وقد فقدت تلك الكتابات لسوء الحظ • ولا نستطيع ان نعين مصادر معلوماته تعيننا مضبوطا وان نمت لهجته العامة وبعض الاشارات على ان كثيرا منها مستقى من محادثات له مع القرامطة أنفسهم استقاء مباشرا •

ولقد جعلنا المسعودي في عداد مؤرخي المرحلة الاولى (وان كان يفوقهم في معلوماته ويفوق بعض مؤرخي المرحلة الثانية) لاقتضاب مادته ولانها لم تتجاوز سنة ٣٣٢هـ ـ ٩٤٤م •

---

(١) التنبيه ٣٨٩ ، الترجمة ٤٩٥

واهم مؤرخ اخر يعد في هذه المرحلة هو حمزة الاصفهاني الذي عاش في القرن الرابع الهجري (القرن التاسع والعاشر للميلاد) وقد اقتصر فيما كتب على أعمال القرامطة الحربية ولم يشــر الى عقائدهم ولا الى صلاتهم بغيرهم · وترجع أهمية معلوماتـــه الى الصورة التي ترسمها لنا عن اضطراب حال بغداد والامبراطوريه في أثناء تلك السنين القلقة اضطراب ، وعن الفتن المستمرة والحروب الاهلية ، وعن الازمة الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة ، وعن النزاع الطبقي الحاد بين الخاصة ـ الارستقراطية ـ والعامة أي عامـــة الشعب ـ في بغداد · وهذه الصورة تساعدنـــا كثيرا على فهم جو الشقاق والاستياء حيث ظهرت وانتعشت فيــه الحركـة القرمطيــة الثورية ·

المرحلة الثانية :

اضطر دو خويــه De Goeje ان يعتمد للفترة التي اتت بعد سنة ٣٢٠ هجرية على مصادر متأخرة ، ككتاب العيون وكتاب ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣١ هـ ـ ١٢٣٤ م · ثم نشرت ، بعده ، بعض المصادر العباسية المتأخرة وأهمها كتاب الصابــي المتوفــى سنــة ٤٤٧ هـ ـ ١٠٥٥ م وكتاب مسكوية المتوفى سنة ٤٤٨ هـ ـ ١٠٣٠ م، وكلاهما يحوي معلومات كثيرة نافعة ·

وقد اسعفني الحظ في أثنـــاء زيارتي القاهـــرة فحصلت على مخطوط يظهر أنه قسم من تاريخ مفقود لثابت بن سنـــــان الصابـــي المتوفى سنة ٣٦٥هـ ـ ٩٧٤م ، حفيد الطبيب المشهور ثابت بن قرة (١) اكتفي هنا بأن أذكر بأنه كتب في سنة ١٠٥٧ هجرية (سنة ١٦٤٧م) وأنه منقول عن نسخة كتبت في سنة ٥٧٧هـ ـ ١٨٨١م منقولة عــن

(١) انظر عن ثابت وتاريخه Chwolsson , Ssabier , 1 579

نسخة المؤلف نفسه · ولا اجد سببيا مقبولا للشك في صحة هذا المخطوط ·

يذكر ثابت تاريخ القرامطة في البحرين وسورية والعراق منذ نشأتهم حتى سنة وفاته · وقد فصل البحث في الحروب بين الخليفة المعز الفاطمي والقرامطة خصوصا · وفيه كل الدلالة على أنه بحث معاصر · ويتبع مسكويه وابن الاثير كلاهما كتاب ثابت هذا ، ويظهر انه مصدرهما المعتمد عن هذه الفترة ·

ويمثل ثابت مرحلة من المعلومات ارقى من مرحلة الطبري ، فهو يظهر ـ في غير مرة ـ أنه عارف بالعلاقة بين القرامطة والفاطميين في افريقية · ولكنه مع ذلك لا يذكر شيئا عن عقيدتهم ولا يعرف شيئا عن تاريخ الفرقة في دورها الاول قبل انتفاضتها علنا ، ولم يذكر اسم أبي الخطاب وميمون القداح وابنه عبد الله ولم يخامره شك في نسب عبيد الله (المهدي) الذي يشير اليه دائما بالفاطمي العلوي ·

وأرى لزاما ـ قبل الانتقال الى المرحلة الثالثة أن أقول كلمة أبرر فيها جعلي كتاب ثابت بن سنان في زمرة المصادر السنية :

ان المؤلف وأسرته من الصابئة · وهو كغيره من كتاب الصابئة يترسم وجهة نظر السنة تماما ولا يمكن ان نميزه منهم سواء في رجوعه الى المصادر او في طريقته في البحث ، والتتبع ، كما نميز الشيعة الاثني عشرية مثلا · والباحثون السنة يقدرون تاريخه ، وكثيرا ما يرجعون اليه ويستفيذون منه ولهذا فلا يمكن فصله عن مخلفات السنة التاريخية ·

المرحلة الثالثة :

لقد بلغت معلومات كتاب السنة عن عقائد الاسماعيلية في هذه

المرحلة درجة من التطور أعظم من سابقتها بكثير ، فقد توفرت عنها معلومات مفصلة نوعاً ما ، ولا سيما عما يصح ان نعده تاريخ ابتداء الفرقة وتطورها السري الاول قبل ان تشيع دعوتها بين الناس ·

وأقدم كاتب معروف في هذه المرحلة هو أبو عبد الله بن رزام (او ابن رَزّام) وقد عـاش ـ تخمينـا ـ في أوائـل القرن الرابع الهجري ((القرن العاشر الميلادي) ونستطيع ان نسلكه في عداد المصادر التاريخية وان كان كاتبا دينيا أكثر منه مؤرخا ، ذلك لان بحثه محفوظ في مؤلفات هي في عداد الكتابات التاريخية ولانـه يعين مبدأ اتجاه تاريخي جديد في بحث القرامطة· ومن بين المؤرخين الذين نهجوا نهجه في كتاباتهم عن القرامطة نظام الملك وابن شداد وأبو الفداء ورشيد الدين ·

وقد ضاع كتاب ابن رزام ، الا ان (اخو محسن) ـ وهو علوي معاصر للمعز تقريبا (١) ـ عول عليه كثيرا كما أنبأنا المقريزي (٢) · ولكن المقريزي يزيد على هذا بأنه لا يوثق ما كتبه ابـن رزام عـن أصول الفاطمية · واننا لنستغرب من المقريـزي بعد هـذا الحكم القاسي على ابن رزام وعلـى خلفه (أخو محسن) اعتمـاده في كتاباته المختلفة اعتمادا كبيرا على ما كتباه وذلك ان يشير اليها(٣) · وقد حفظ لنـا المقريزي والنويري نص (أخو محسن) · فذكـر الاول الناحية العقيدية منه في الخطط (٤) والناحية التأريخية منهفي المقفى (٥) ومجمله في الاتعاظ · أما النويري المتوفى سنة ٧٣٢ هـ

---

(١) مامىي: 1 , Intro , 74 ـ الاتعاظ ١١ ـ كازنوفا : LaDoctrine Secréte , P. 9 , Note 1.

(٢) الاتعاظ ١٢ ـ كاترمير ١١٧ ـ فانيان ٣٩ ·

(٣) في الخطط مثلا ·

(٤) ١/٣٩١ ـ ترجمة كازنوفا : La Doctrine Secrète

(٥) ترجمة كاترمير وترجمة فاكنان ·

١٣٣١م فقد أورده خيرا من صاحبه في كتابه نهاية الارب ، وهو دائرة معارف في التاريخ والادب · ولا يزال القسم المخطوط من هذا الكتاب ، في نسختين احداهما في باريس والاخرى في استنبول (١)· وقد نقل الفهرست (٢) من ابن رزام مباشرة · وذكر المسعودي (٣) ابن رزام بين من ذكر من الكتاب الذين كتبوا عن القرامطة والذين يتحدث عدهم بازدراء · ويرى كازانوفا (٤) P. Casanova هذا القذف من المسعودي ادانة رسمية لابن رزام · ونحن ، على اي حال ، علينا ان نتريث فنحكم على مبلغ الضبط عند ابن رزام بنظرة اكثر تسامحا · فاعتماد المقريزي عليه اعتمادا كبيرا يفقد كثيرا من قيمة تجريحه اياه ، ومعلوماته ـ كما يرى كازانوفا (٥) ـ تختلف بعض الشيء عن تلك التي جرّحها المسعودي · وما عثر عليه من وثائق اسماعيلية حقيقية تميل ـ في جملتها ـ الى تاييده ، وصيغة القسم التي ذكرها ـ كما يرى ايفانوف (٦) قريبة من الصيغة التي ما زال يستعملها الاسماعيليون في الهند ، والعقائد التي ينسبها للاسماعيلية تتفق كل الاتفاق مع ما ورد في رسالة اسماعيلية لنصير الدين الطوسي (٧) وان لم تذكر هذه الرسالة مراتب الانتماء التسع التي نجدها عند ابن رزام وعند كتاب آخرين · وسنتحدث عن نواحي الضعف التاريخية التي عند ابن رزام في محل آخر ·

---

(١) انظر ثبت المراجع والمصادر ·

(٢) ١٨٦ ·

(٣) التنبيه ٢٩٥ ، الترجمة ٥٠١ ·

(٤) La Doctrine , Secrète , P. 36

(٥) المصدر السابق نفسه ٢٧ ·

(٦) Cread , 14 .

(٧) بحث اسماعيلي لنصير الدين الطوسي نشره ايفانوف في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية سنة ١٩٣١ · صفحة ٣٥٤ ·

بظهور كتاب ابن رزام ظهر ، لاول مرة ، في كتب السنة التاريخية اسم ميمون القداح وابنه عبد الله ، وربطت اصول الحركة الفاطمية بهما ، وثبتت الصلة بين الفاطميين والقرامطة ، وبدأ الشك في نسب الخلفاء الفاطميين ·

وفي سنة ٤٠٢هـ ١٠١١م انيع في بغداد البيان الشهير ضد الفاطميين ، فكان مؤكدا لبعض ما جاء عند ابن رزام ، اذ أعلن للملأ ان الخليفة الفاطمي الاول ـ عبيد الله المهدي ـ انما هو شخص اسمه سعيد من نسل ديصان مؤسس الفرقة الديصانية وأنه ثنوي كافر · ولكنه لا يذكر عبد الله بن ميمون ولا أباه ·

وظل هذا البيان مع تفصيلات ابن رزام مصدر غالبية الكتابات المناوئة للفاطميين ·

بقي علينا أن نشير الى كتاب واحد فقط بين المصادر السنية المتاخرة انتفعنا به لاول مرة في هذا الكتاب ·

في تواريخ اليمن التي نشرها وترجمها H. C. Kay بحث مختصر عن القرامطة في اليمن مستخلص من كتاب السلوك لبهاء الدين الجندي المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ١٣٣١ م · وقد اعتمد فيه على مصدر واحد هو أبو عبد الله محمد بن مالك بن ابي القبائل ، أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة، وكان ممن دخل في مذهبهما (يعني مذهب علي بن فضل (١) ومنصور اليمني) أيام الصليحي ، وحقق أصل مذهبهما · فلما تحقق له فساده رجع عنه ، وعمل رسالة مشهورة يخبر بأمور اصل مذهبهم ويتبين عوارهم ويحذر من الاغرار بهم (٢) ·

(١) وهو الداعي الاسماعيلي علي بن محمد (٤٢٠ ـ ٤٨٣هـ = ١٠٣٧ ـ ١٠٨٠ م) ، مؤسس الاسرة الصليحية في اليمن ·

(٢) كي ١٩١ ·

وفي مستهل عام ١٩٣٩م نشر في القاهرة كتاب ـ ربما كان هو الرسالة التي يتحدث عنها اسمه كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة ، لمؤلف اسمه محمد بن مالك بن ابي الفضائل الحمادي اليماني وفيه ما يدل على ان مؤلفه معاصر للخليفة الفاطمي المستنصر (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ : ١٠٣٥ ـ ١٠٩٤م) ٠

وهكذا ننتهي من استعراضنا للاتجاهات الرئيسية في التواريخ السنية ٠ وهناك مؤرخون مهمون لم نذكر اسماءهم وسنشير اليهم عند الحاجة (١) ٠

ونرى ان نشمل ، باستعراضنا هذا قبل ان ننتقل الى تفصيل الكلام في النواحي التي نريد تفصيلها ، مجموعات أخرى من المصادر وهي :

(١) مصادر السنة غير التاريخية ٠

(٢) مصادر الشيعة الاثني عشرية ٠

(٣) مصادر الاسماعيلية وما يقرب منها ٠

ب ـ مصادر السنّة الدينية

انه لمن المتوقع ان تحتل حركة دينية انقلابية واسعة الانتشار كالباطنية ، مقاما هاما في كتابات السنة الدينية ٠ وقد خلف لنا علماء السنة كتابات كثيرة في الجدال والرد ، ان لم نستطع ان نحصل منها على معرفة عقائد الباطنية فاننا نستطيع ان نعرف مبلغ الاثر الذي تركته هذه العقائد في نفوس هؤلاء الكتاب ٠

---

(١) عن مناقشة المصادر في ظهور الفاطميين انظر بيكر :
Beitragel 1,2 - 11

اما الكتب التي تبحث في تاريخ الملل والنحل فانها أقل تعصبا وتحاملا من هذه المؤلفات ، اذ أصبح تاريخ الملل والنحل علما بلغ درجة راقية من التطور في القرون الوسطى للاسلام ·

وغالبية هذه المؤلفات تبحث – في الباطنية من حيث الدين والعقيدة أكثر مما تبحث في تاريخ حركتها · ولذا فهي ليست من موضوع دراستنا في هذا الكتاب · ومع هذا فهناك شذرات ونتف من الاخبار التاريخية مبعثرة في هذه المصادر مما يجعلها تستحق البحث والتمحيص ·

والقيمة التاريخية الرئيسية لهذه الكتب هي انها لا تصف الحركة الاسماعيلية بمعناها الضيق بل تشمل كل الفرق الشيعية الغالية التي انبعثت الاسماعيلية منها هيئة منظمة بتفصيل واف لا نطمع ان نجده في المصادر التاريخية الخالصة · نعم ، للفقهاء عيوب تقلل الاعتماد عليهم ، فهم يتحاملون تحاملا شديدا على الفرق التي يصفونها ولا يرون في صالحهم ان يرسموا صورة واضحة صحيحة عن تطورها ، وكثيرا ما كانت معلوماتهم عنها خاطئة فنسبوا اليها مبادىء أنكرها أصحابها باشمئزاز واستغراب · وقد تحدث المسعودي (١) عن الجدليين بازدراء ، فأزرى بعدم رغبتهم في تفهم الامور وبتسرعهم في الاتهام الادانة · فكيف نتوقع منهم اذا ان يميزوا تمييزا صحيحا بين الجماعات المارقة المتخالفة ؟ زد على ذلك ان كثيرا منهم يتقيدون بحديث منسوب الى النبي يقول : « ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة (٢) فكانوا يزيدون في عد الفرق المارقة او ينقصون منها بمقدار ما يلائم هذا العدد ·

---

(١) التنبيه ٣٩٥ ، الترجمة ٥٠١ ·
(٢) أبو داود ٢٥٩ ·

الا اننا ، رغم هذه العيوب ، نستطيع ان نضع بحثـــا دقيقـا عن نمو الفرق الغالية الاولى ، وعــن بلوغها الذروة في الدعـــوة الاسماعيلية ، بمقابلة الروايات مقابلة دقيقة وبما هو أهم من نلك ومن أي شيء اخر ــ بما يتيسر لنا من المصادر الشيعية الاثني عشرية والمصادر الاسماعيلية · وسنحاول انجاز هذه المهمة في فصلنا الاول أما الان فلنلق نظرة سريعة على أهم المصادر الدينية السنية من بينها مصدر لم يعرفه أحد حتى الان (١) ·

ان أقدم تصنيف للفرق الاسلامية وصل الينا هو كتاب مقالات الاسلاميين للمتكلم الكبير أبي الحسن الاشعري المتوفى سنة ٣٢١هـ ــ ٩٣٣م · وهو كتاب يحاول بحث هذا الموضوع بحثا مفصلا حســنا على العموم · ويلي الاشعري الملطي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ ــ ٩٨٧ م وقد عني بالتفنيد أكثر من عنايته بالشرح والتوضيح ولكنه يزودنا ــ مع هذا ــ بقليل من التفاصيل المفيدة الهامة ·

وأكثر اسهابا من هذا وذاك الفقيه أبو منصور عبد القادر ابن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ ــ ١٠٣٧م · وهو متكلم اشعري خلف لنا في كتابه « الفرق بين الفرق » بحثا مفصلا عن فرق الشيعة وتواريخهم وعقائدهم · ويعرض في فصله عن الباطنية معلومــات تاريخية مفصلة اعتمد فيها ــ كما يظهر ــ على ابن رزام في شيء من التحرر ·

وهناك بحوث مختصرة عن الاصول الباطنية وعن عقائدهم في كتاب بيان الاديان لابي المعالي ، وقد أتم كتابته سنة ٤٨٥هـ ــ ١٠٩٢م وفي أول تأريخ اسلامي عظيم للاديان وهو الفصل في الملل والنحل لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٩هـ ــ ١٠٦٤م ·

---

(١) عن بحث الاداب الجدلية الاولى انظـر غير لدزيهر : الغزالي ص ١٤ وما بعدها ·

ويتناول هذا الموضوع الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ـ ١١٥٣ م خليفة ابن حزم في التأريخ الديني وله نظرة متسامحة عجيبة · وقد استفاد من المصادر الاسماعيلية استفادة ظاهرة ، ولكن كتابه يكاد يقتصر على العقائد وليس فيه من المعلومات التاريخية الا قليل :

وفي مقال لفخر الدين الرازي الكبير ، طبعه وعلق عليه حديثا الدكتور بول كراوس (١) Paul Kraus تحليل ممتع لكتاب الشهرستاني قال فيه : « انه كتاب حكى فيه مذاهب أهل العلم ـ بزعمه ـ الا انه غير معتمد عليه ، لانه نقل المذاهب الاسلامية من الكتاب المسمى بالفرق بين الفرق من تصانيف الاستاذ ابي منصور البغدادي · وهذا الاستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ، ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح · ثم ان الشهرستاني نقل مذاهب الفرق الاسلامية من ذلك الكتاب فلهذا وقع الخلل في نقل هذه المذاهب » · والفقرة التي تستحق الملاحظة هي الفقرة الباحثة في حسن بن الصباح ، لان الشهرستاني قد استعمل هنا مستندا صحيحا ترجمه الى العربية من الاصل الفارسي ·

ويرى الدكتور كراوس ان نقدات الرازي للشهرستاني غير موفقة في الغالب وان كان يبدو الشهرستاني قد اعتمد في عدد من ابحاثه ، ولا سيما ذلك المختص بفرقة الكيالية ، على مصادر اخرى · كما انه أكثر تحررا من البغدادي في نظرته العامة وأوسع معرفة بعقيدة الاسماعيلية · ولا بأس ان نذكر عرضا ان الشهرستاني نفسه قد اتهم بأنه اسماعيلي (٢) ·

---

(١) Les « Controvreses » 205 FF . and 212 FF .

(٢) نهاية الاقدام ١١ : كسيوم ·

ومن أهم كتب السنة عن الباطنية كتاب الرد على فضائح الباطنية للغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ ـ ١١١١م وقد حلله وطبع قسما منه غولدزيهر · وهو يعنى كذلك أكثر ما يعنى بالعقيدة وهو ليس من موضوع بحثنا · أما اشاراته الى طبيعة الحركة الباطنية فسنعرض لها فيما بعد · ويحسن بنا ان نشير ، عرضا ، الى ان فخر الدين الرازي يتهم الغزالي ـ في رسالته التي ذكرناها ـ بسوء فهم مذهب الاسماعيلية ويرى كتابه (الرد) ممعنا في الغلط · وهناك رد اسماعيلي على كتاب الغزالي وضعه داع يماني في القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي (١)) ·

ونستطيع ان نضع بين رجال الدين جمال الدين بن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة ٥٧٧هـ ـ ١٢٠٠م الذي يعطينا في فقرتين نبذة موجزة عن الحركات الباطنية معتمدا في الغالب على الطبري وابن رزام والغزالي ·

ولا بد لنا ان نضيف مصدرا اخر الى هذه القائمة من المصادر السنية وهو لا يزال مخطوطا وقد استعملناه المرة الاولى في هذا الكتاب ·

ومؤلف هذا المخطوط هو قاضي القضاة عبد الجبار بن محمد بن عبد الجبار ، الفقيه المعتزلي ، المتوفى سنة ٤١٥ أو ٤١٦ هـ ١٠٢٤ أو ١٠٢٥م · وكان تلميذا لابن عياش وشيخ المعتزلة في عصره (٢) ·

وكثيرا ما لفت الاستاذ ريتر (٣) H. Ritter أنظار الباحثين الى مخطوط في مكتبة شهيد علي باشا في استنبول اسمه كتاب « تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد » لقاضي القضاة نفسه ·

---

(١) ايفانوف : Guide , P. 56 , No. 220

(٢) السبكي ٣/١١٤ ـ آرنولد : مهدي أحمد ٦٦ ·

(٣) Philologica , P. 240 . N 18 .

ويحتوي هذا المخطوط على ٢٩٤ ورقة يبحث عن الحركة الباطنية في الورقات بين (١٤٣ و ١٥٣) · وقد استفاد عبد الجبار قاضي القضاة من ابن رزام وذكر اسمه ، الا ان بحثه اصيل في نواح عدة ،ويحتوي على كثير من المعلومات الجديدة · وقد اتخذ كثير من المؤرخين المتأخرين كتابه مصدرا يعتمدون عليه (١) ·

وبهذا ننتهي من المجموعتين الرئيسيتين للمصادر السنية مستعرضين النمو التدريجي لمعلومات السنة عن الباطنية · وهناك مصادر أخرى غيرها ، اذ سنجد في كتب الرحلات والكتب الادبية والفلسفية وغيرها كثيرا من المعلومات القيمة التي سنستفيد منها في فصولنا الاتية · وليس بينها ما يستحق ملاحظة خاصة · وبقي علينا ان نوجز القول في المصادر غير السنية لكاتبنا هذا ·

---

(١) النجوم الزاهرة ٤٤٣/٢ ــ ٦ ــ ابو شامة ٢٠١/٢ ــ تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣ ــ المقريزي لفاكنان ــ وللتوسع أنظر Beitrage , 5. وبروكلمان ٤١١/١ و ٤١٨ ·

ج ـ مصادر الشيعة الاثنى عشرية

هناك ، عدا ما نكرناه ، مادة غزيرة متيسرة عن تاريخ نشأة الفرق في تراجم الرجال والفهارس عند الشيعة الاثني عشرية ، كانت خافية على دو ساسي ودو خويه وغيرهما من الباحثين الاسبقين ولم تظهر أهميتها الا حديثا حينما نوه بها ماسينيون (١)٠

انه لمن الطبيعي ان يكون الشيعة الاثنا عشرية أوفر اتصالا بالاسماعيلية من السنة ، وأوفر منهم معرفة بتأريخهم وعقائدهم ٠ فأبو العلاء المعري (٢) يقول لنا بأن الشيعة الاثني عشرية ما يزالون يجلون ذكرى عبد الله بن ميمون القداح ويوثقون بالاحاديث التي رواها قبل مروقه ، ويؤيد هذا دراسة تراجم الرجال الشيعة اذ تعتبر عبد الله بن ميمون القداح وغيره من مشاهير الغلاة ، محدثين ، وتزودنا بتفاصيل قيمة عنهم لا نجدها في غيرها ٠

وخير هذه الكتب وأقدمها كتاب معرفة أخبار الرجال لابي عمر ومحمد بن عمرين عبد العزيز الكشي، وقد أورد لنا الطوسي مجمله٠ وكان الكشي هذا ـ وقد عاش في أثناء القرن الرابع الهجري او العاشر الميلادي ـ تلميذا للعالمين الشيعيين الشهيرين أبي القاسم نصر بن صباح البلخي ، وأبي نصر محمد بن مسعود العياشي السمرقندي ، وكان أولهما من الشيعة الغلاة ٠ وكاتب الكشي ـ وهو مجموعة روايات عن أكابر رجال الشيعة ـ معدن أخبار ومعلومات (٣) ٠

وعندنا عدد من كتب متأخرة كلها تراجم رجال وفهارس اهمها

---

(١) Esquisse ومقالة عن القرامطة في دائرة المعارف الاسلامية ٠
(٢) رسالة الغفران ١٥٦ ٠
(٣) عن الكشي أنظر عباس اقبال : خندان نويخت ١٤٠ ، وهدية الاحباب ٢٢٦ ٠

كتاب النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨ م ، وكتـاب الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ـ ١٠٦٧ م ، وكتاب ابن شهر اشوب المتوفى سنة ٥٨٨ هـ ـ ١١٩٢ م وكتـاب الاستربـادي المتوفى سنة ١٠٢٨ هـ ـ ١٦١٨ م (١) ٠

وهناك ، عدا هذه المجاميع ، كتابان لمؤلفين شيعيين من الاثني عشرية يلقيان على موضوعنا شيئا من الضوء ، يبحثان في الفرق والاديان ٠ وهما الكتابان الوحيدان الباقيان من مؤلفات الشيعة في هذا الموضوع ٠ وفيهما معلومات اكثر مساسا بموضوعنا مما في كتب السنة ، خالصة من بعض أغراض السنة وتحاملهم ، ان لم يكن منها جميعا ٠

أولهما كتاب فرق الشيعة المنسوب الى ابي محمد الحسن بن موسى النوبختي المتوفي سنة ٣١٠هـ ـ ٩٢٢م ٠ وهو كتاب يستعرض الفرق الشيعية المنسوبة اليها منذ وفاة الامام علي بن ابي طالب حتى غيبة الامام الثاني عشر محمد المهدي ٠ وقد كتب بأسلوب رائع الاعتدال والاتزان واحتوى على معلومات كثيرة عن بداية تأريخ الاسماعيلية ومؤلفه شيعي معتدل جدا ، اعتمد على المصادر السنية بقدر ما اعتمد على المصادر الشيعية ٠ ولا تزيد معلوماته في بعض النواحي على معلومات معاصريه من أهل السنة ٠ ولم يذكـر عبد الله ابن ميمون ولكنه يرسم لنا صورة واضحة مفصلة عن الفرق التي ظهرت قبل الاسماعيلية والتفت حول محمد بن الحنفية ومحمد الباقر وجعفر الصادق ٠ وهكذا يزودنا باطار تاريخي يمكن ان ندخل فيه المعلومات التي جاءت في الكشي وعند أتباعه من تراجم الرجال ٠

---

(١) ان شئت زيادة في التفصيل عن هؤلاء وغيرهم من المؤلفين الشيعة الاثني عشرية فانظر Rieu. Brit. Mus. Suppl. Cat. of Arabic Mss. P, 422 ff.

ويجب علينا ان نشير في معرض كلامنا الى ان عباس اقبـــال يرفض نسبة كتاب فرق الشيعة الى النوبختي في رسالته الرائعــة خندان نوبخت (١) اذ يقول بأن كتاب النوبختي المعروف بهذا الاسم قد ضاع ، وان مؤلفه الحقيقي شخص اســـمه سعد بـن عبد الله الاشعري المتوفى سنة ٢٩٩ هـ أو ٣٠١هـ ـ ٩١١م أو ٩١٣ م ٠ ويعتمد السيد اقبال في حكمه هذا على فقرات عدة وردت في كتاب الكشي وغيره منسوبة الى الاشعري وهي مماثلة كل المماثلة لمـا جـاء في كتاب الفرق ٠

وثانيهما كتاب تبصرة العوام وهو كتاب فارسي مؤلفه مشكوك فيه ولكنه ينسب الى السيد مرتضى بن داعي حسـْـــني رزاي (في أوائل القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي) ٠

د ـ المصادر الاسماعيلية

ظل الناس زمنا طويلا يحكمون على معتنقي الاسماعيلية بمـا جاء به اعداؤها الالداء ، اذ قد خفيت مصادرها كلها تقريبـا في الشرق الادنى من جراء رقابة أهل السنة وتكتم الاسماعيلية ٠ وقـد جمعت بعض مقتطفات من اسماعيلية سوريا الوسطى نشرها غويار Guyard ونشرت بعض المجلات الروسية قطعة او قطعتين اخريين وجدتـا عند اسماعيلية اسيـا الوسطى ، وعثر غريفيني Griffini سنة ١٩٠٥ على عدد من مصنفات الاسماعيلية في اليمن ، وأجمل بعضها في مقال ٠ ثم كشف خلال السنين التالية بفضل جهود ايفانوف w. Ivanow والهمداني H. F. Hamdani ـ خصوصا ـ عن كنوز المكاتب الاسماعيلية في الهند ٠ وعرفت هوية

---

(١) ١٤٠ وما بعدها ٠

بعض الكتب الاسماعيلية في مكاتب اوروبية واقتني بعضها • وقد أصبح الان قدر لا بأس به من هذه المؤلفات متيسرا في مجاميع خاصة وعامة طبع عددا منها وترجمها ودرسها علماء مختلفون •

على ان القسم الاعظم من مادة الاسماعيلية الجديدة دينية وفلسفية في طبيعتها • ومن الغريب انها لم تضف الى معلوماتنا عن الطور الاول لتأريخ الفرقة الا شيئا يسيرا • زد على ذلك انه ليس هناك كتاب يرجع الى ما قبل حكم اول خليفة فاطمي ، اذا استثنينا أم الكتاب لاسماعيلية اسيا الوسطى ، وأن كتبهم تمثل مرحلة الدعوة الفاطمية الرسمية في عهد ضعفها أكثر مما تمثلها في عهدها الثوري الاول (١) •

والكتاب الاسماعيلي الرئيسي في التاريخ هو عيون الاخبار للداعي ادريس اليماني ويقع في سبعة مجلدات ، ويبحث في تأريخ الاسماعيلية منذ زواج الامام علي حتى عصر المؤلف (القرن التاسع الهجري - القرن الخامس عشر الميلادي) وما زال مخطوطا ، عدا بعض مقتطفات نشرها الهمداني في مجلة الاسلام Der Islam » ولم استطع ان احظى بنسخة منه •

وأقدم من هذا الكتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة للقاضي نعمان قاضي قضاة المعز (٢) • وهو في تأريخ الدعوة الفاطمية في اليمن وشمال أفريقية حتى تأسيس الخلافة ، وله قيمة كبرى •

وهناك كتابان حديثان باللغة العربية يعتمدان مباشرة أو مداورة على ما مر من كتب الاسماعيلية وغيرها ، وضعهما

(١) ايفانوف : Guide , 62.
(٢) المصدر السابق نفسه ص ٤٠ •

اسماعيليان احدهما في الهند والاخر في سورية · أولهما رياض الجنان لشرف علي السيذبوري Sidhpouri طبع في بومباي سنة ١٢٧٧هـ ـ ١٨٦٠م · وقد توجه به مؤلفه الى جمهور المسلمين عامة ولم ينوه بأنه من الاسماعيلية ولكن الميل الاسماعيلي فيه قوي بارز · وقد اعتمدت فصوله التاريخية على مصادر الاسماعيلية · وفيه بعض الفقرات الهامة رغم طبيعته الظاهرية التي لا تترك مجالا للكشف عن أي شيء هام ·

والثاني كتاب الفلك الدوار في سماء الائمة الاطهار ، وهو عرض عام للاسماعيلية · طبعه الشيخ عبد الله بن مرتضى الوكيل الاسماعيلي في خوابي في حلب سنة ١٣٥٦هـ ١٩٣٣م · ويظهر ان المؤلف قد اطلع على كتب البهرة واعتمد كثيرا في قسمه التاريخي على مصادر سنية ، وهو قسم قليل الاهمية ·

وهناك ، عدا الكتب التاريخية الخالصة ، عبارات واشارات تاريخية عرضية في كتب العقائد والدين ، قد تكون أكثر ثقة وأقوى معتمدا من الكتب التاريخية الخالصة ، وذلك لان الكتب التاريخية يفترض فيها ان تكون ظاهرية ، أما الكتب السرية في الحقائق والعقائد فانها باطنية في الغالب ، وضعت لنخبة خاصة من الناس · ولهذا فقد تنطوي على معلومات خافية على الجماهير · وأظهر مثال لذلك ، العبارة التأريخية الموجزة في غاية المواليد ، وهو كتاب سري في العقيدة ، ففيها اعتراف بأن عبيد الله المهدي لم يكن علويا · وهذا دون شك تنكره انكارا شديدا مؤلفات القاضي نعمان وعيون الاخبار ومؤلفات الاسماعيلية الحديثة وان كان من المحتمل ان القاضي نعمان نفسه ـ وهو ممن لم يبلغ المرتبة العليا في الدعوة ـ لم يشعر بهذا الانكار ·

وعلينا ان نجعل بين المصادر الاسماعيلية رحالتين كليهما متحمس للفاطميين : احدهما ابن حوقل المتوفى في أواخر القرن

الرابع الهجري او العاشر الميلادي · والاخر ـ وهو قوي الايمان بالاسماعيلية ـ ناصر خسرو المتوفي سنة ٤٨١هـ ١٠٨٨م · فاننا نجد في رحلتيهما اوصافا قيمة عن دولة القرامطة في البحرين ونظامها الداخلي لشاهدين غير متحاملين ولم يسبقهما اليها احد ·

ونستطيع ان نجمع معلومات وافية من كتب المجاميع التي ان لم تكن اسماعيلية حقا فانها ذات علاقة قريبة بها · وأشهر هذه المجاميع رسائل اخوان الصفا، وفيها بعض لمحات ذات قيمة تاريخية· وكتابات الدروز الدينية التي تمثل نهجا اسماعيليا قديما خالصا نوعا ما ، أقل تحفظا من الكتابات الفاطمية الرسمية لكونها كتابات فرقة سرية · وهي أكثر نفعا من سابقتها في هذا الموضوع ·

هذه هي المصادر التي تروي لنا قصة الحركة الباطنية ـ القصة التي تعج بالمتناقضات والخلافات الداخلية المملوءة بالمسائل التي لم تفسر بعد · ومهمتنا هي ان نحاول اعطاء بيان مفصل واضح للحوادث التي تسردها هذه المصادر بتقييمها تقييما نقديا ومقارنة بعضها ببعض ·

ولعله من المفيد ، قبل ذكر ما يعترضنا من المشاكل والسعي الى حلها ، ان نستعرض ما يعترض طريقنا من صعوبات رئيسية بايجاز ·

أولاها ، وقد أشرنا اليها ، جهل الكتاب المناوئين للباطنية وتعمدهم الدس والاساءة احيانا ، وهؤلاء يكونون جانبا مهما من مصادر معلوماتنا ·

وثانيتها ، طبيعة الحركة السرية الباطنية نفسها اذ هي تخفي عقائدها وشخصياتها لا على اعدائها فقط بل حتى على قسم كبير من اتباعها الذين لم يطلعوا على الاسرار الداخلية · ولهذا فكثير من

كتب الباطنية ، يتعمد اخفاء بعض الحقائق الحيوية بل ان هذه الكتب لتموهها اذا ارادت ذيوعها وانتشارها بين الجماهير ·

وثالثتها ، ان ما ألمّ بالحركة من مشقة واضطهاد جعل كثيرين من أشهر زعمائها يتخفون في أمكنة مختلفة بأسماء مختلفة موهت شخصياتهم الحقيقية ·

ورابعتها ، عقيدة التفويض الغريبة أو التبني الروحي الذي جعل كلمة أب او ابن قد تدل على الصلة بين المعلم وتلميذ اكثر مما تدل على الابوة والبنوة ، مما أحاط ـ كما سنرى ـ غالبية أنساب الباطنيين بالشكوك والشبهات ، وزاد العناء في التعريف بالاشخاص المختلقين ·

ومعضلتنا الكبرى انما هي في التصنيف والتحقيق · فقد كانت الحركة الباطنية في عصور نشاطها ـ لسعة انتشارها وسرية دعوتها ـ تتشعب الى جماعات متمايزة كثيرة ، بأسماء وتقاليد محلية مختلفة ، بعضها يكون جزءا من المنظمة الرئيسية وسائرها فروع تابعة للمراكز الاساسية ولكن بعد الشقة وصعوبة المواصلات باعدتا بين طبائعها بعامل المؤثرات المحلية · وهناك فرق أخرى لا علاقة لها في اصلها بالباطنية ألقت زمامها اليها وخضعت لسلطتها المركزية · الا ان هذه السلطة كانت اسمية في الغالب ، من فرق لها شيء من العلاقة الفعلية بالباطنية ، أو ليست لها هذه العلاقة ، ولها أصل وطبيعة مستقلين كل الاستقلال · ولئن كان قد حدث شيء من التعاون العرضي بينها وبين الباطنيين فان العلاقة بينهما غالبيتها من نسج خيال اعداء الباطنية وتصوراتهم · ونستطيع ان نقول ونحن واثقون بأن الخرمية وفرقا هرطقية ايرانية بحتة هي من هذه الجماعة الاخيرة ·

لقد أوجد التباين في العقيدة والاقليم اسماء كثيرة ينسبها اكثر المحققين الى هذه الفرقة او تلك دون تخصيص ، مما سبب تشويشا

والتباسا شديدين · وفي كتاب سياسة نامة وكتاب ابن الجوزي قوائم طويلة يمثل هذه الاسماء مع استعمالاتها المحلية · وسنطلق اسم الباطنية على جميع الحركات التي نتعرض لها في هذا الكتاب لنتحاشى التشويش والالتباس ، اذ هو اوسع انتشارا واكثر قبولا · واذا ورد غيره فسنحدد المراد منه ·

نستطيع ان نميز مما اوردته لنا مصادرنا من اخلاط الفرق وفروعها أربع جماعات رئيسية ، كل واحدة منها تكون وحدة متميزة ، لها طبيعة منسجمة قليلا او كثيرا ، ولها تاريخ خاص بها وتقاليد · وأن العلاقة بين هذه الحركات هي عقدة المشكلة · والجماعات الاربع هي :

١ ـ الدعوة الاسماعيلية في طورها الاول : أي حينما كانت ترتكز على اسماعيل بن جعفر وابنه محمد وجماعتهما التي التفت حولهما في بادىء الامر في القرن الثاني للهجرة · ونجد هذه الجماعات في مصادر الشيعة الاثني عشرية ·

٢ ـ الدعوة منذ بدايتها في اليمن بزعامة منصور اليمن الشهير واستمرارها في شمال افريقية بزعامة ابي عبد الله الشيعي حتى بلوغها الذروة بتأسيس الخلافة الفاطمية ·

٣ ـ حركة الهلال الخصيب أو القرمطية ـ كما تدعى أحيانا ـ التي عاثت في سورية فسادا بقيادة زكرويه بن مهرويه وأولاده من سنة ٢٨٩هـ الى ٢٩٤هـ (٩٠١ ـ ٩٠٦) م ·

٤ ـ القرامطة : أي الحركة في البحرين بزعامة أبي سعيد وأبي طاهر واخلافهما ·

تظهر هذه الجماعات الاربع في مصادرنا جميعا · واذا اختلفت ـ قديمها وحديثها ـ فانما تختلف في تحديد العلاقات بينها ، وفي تعيين نسبة شخصياتها البارزين الى احدها كعبد الله بن ميمون ·

وعلى مدى صحة اجابتنا عن هذه المسائل تتوقف المشكلة المتنازع فيها حول حق الفاطميين الشرعي · وسنسمي الجماعات الاربع فيما يلي من الصفحات بالاسماعيلية والفاطمية والهلال الخصيب والقرمطية ·

وقد يكون من النافع ان نجمل آراء غيرنا في هذه المشكلة قبل ان ندلي بآرائنا · أما المصادر العربية فقد فرغنا منها فيما تقدم ، فالطبري يرى ما يدعيه الفاطميون أنفسهم ، أي انهم أخلاف الجماعة الاولى ، ويعتبر الجماعتين الثالثة والرابعة جماعة واحدة منفصلة عن الاولى ، ويعتبر الجماعتين الثالثة والرابعة جماعة واحدة منفصلة عن الاولى والثانية انفصالا تاما · وثابت بن سنان يفترض علاقة ولكنه يوافق الطبري فيما عداها · وابن رزام وجميع من تبعه يسوون بين القرامطة والفاطميين ويعتبرون عبد الله بن ميمون من القرامطة ويجعلونه الجد الحقيقي للخلفاء الفاطميين · وعلى هذا فهم ينكرون أي علاقة للقرامطة او الفاطميين بالجماعة الاولى · او بتعبير أحسن يعدونهم منتحلين لادعاءات أسرة اسماعيل · ويدور اكثر الجدل حينئذ في هذه الانساب · أما أولئك الذين يعترفون بالحق الشرعي للفاطميين فانما يعترفون به لنكرانهم أي صلة بينهم وبين القرامطة أو عبد الله بن ميمون ·

أما الباحثون الاوروبيون فقد تباينت آراؤهم (١) · فقدماؤهم امثال دو ساسي ودوزي وهامر وكاترمير وكويرد وبلوشيه ودو خويه ـ يميلون الى الاعتماد على رواية ابن رزام في الجملة اعتمادا كبيرا وعندهم أن الاسماعيلية والقرمطية والفاطمية اسماء مختلفة لحركة واحدة بدأت منذ أن وجدت ، جماعة منفصلة تنتحل ادعاءات الامام اسماعيل ضد اخوته ، أعاد تنظيمها العبقري الماكر عبد الله ابن ميمون القداح ، المارق عن الاسلام الذي تألق نجمه خلال القرن

---

(١) عن هذه الاشارات العامة انظر ثبت المراجع والمصادر ·

الثالث الهجري وجعل لهـا عقيدة وطبيعة تنظيمية خاصتين ويتفق هؤلاء الاوروبيون في هذا اتفاقـا تامـا ولكن دو ساسي وبلوشيه يرجحان رغم هذا أن الفاطميين علويون حقا ، وهو ترجيح يرفضـه دوزي وكاترمير وكوبرد ودو خويه ٠

ولكن ظهور مصادر جديدة غير وجهة نظر المستشرقين بعض التغيير ٠ وأول تغيير جوهري ظهر عند كازانوفا ، فبينما هو يعترف بأن القرمطية والفاطمية حركة واحدة ، اذا بـــه يرى ان القرامطة جماعة منفصلة من أصل أقدم ثم انضمت الى الاسماعيلية اخيرا ٠ ويضع عبد الله بن ميمون القداح جهوده في القرن الثاني للهجرة ، وينوط به خلق الحركة الباطنية الموحدة بضم جناحي الحركة العلوية العظيمين وهما الفاطميون ، أو اتباع أحفـــاد فاطمة والحنفيون أو اتباع محمد بن الحنفية ٠ وأن القرامطة يرجعون الى الحنفية بكـل تأكيد ٠

ويشايع ايفانوف المدافعين المحدثين عن الاسماعيلية فينفي كل صلة بين الاسماعيلين الفاطميين والقرامطة ، ويؤكد بأن الفاطميين يبغضون القرامطة بقدر ما يبغضهم أهل السنة ، وان هناك فرقا كبيرا في العقيدة ، وأن كتابات الاسماعيلية خالية من اسم عبد الله بـــن ميمون ودندان وغيرهما ، مما يـــدل على ان هـــؤلاء لا صلة لهم بالاسماعيلية الاولى ٠ ولا يتردد ايفانوف في قبول نظريـــة الحق الشرعي للخلفاء الفاطميين ٠

أما عند ماسينيون فالاسماعيلية والقرمطية والفاطميـــة حركة واحدة أوجدها اسماعيل وأستاذه وهاديه أبو الخطاب ومعاصرون اخرون ، في القرن الثاني للهجرة (القرن الثامن للميلاد) ٠ والخلفاء الفاطميون من نسل ميمون القداح ٠ ويؤكد ماسينيون ، مع هذا أهمية التفويض في العقيدة الاسماعيلية الذي يجعل الوارث الحقيقي التلميذ

لا الابن الطبيعي · وعلى هذا فالخلفاء الفاطميون علويون بالتفويض وعبد الله بن ميمون القداح ـ بتفويض محمد بن اسماعيل ـ ابـن ووارث له ·

وعند جويدي أن أول باعث للحركة كان أبا الخطاب ، أحـد أتباع جعفر واسماعيل · وكان قد تأثر تأثرا قويـــا بالخرمدينان وبغيرها من هراطقة الفرس ، وانه هو الموجد الحقيقي للاسماعيلية، وأن أحد اتباعه ـ وهو عبد الله بن ميمون موجـد القرمطيـة ، وان الخلفاء الفاطميين هم أحفاد عبد الله وأن دولتهم جزء من الحركـة القرمطية · ولما تأسست الاسرة الفاطمية الحاكمة طرأ على العقائد القرمطية بعض الاعتدال فحصل صدام بين المعتدلين منهم والمتعصبين في الشرق ·

وهناك رأي اخر نذكره مجملا هو رأي الامير مامور · يسلـــم الامير بتحدر الخلفاء الفاطميين من ميمون القداح · ولكنه يدعي بأن القداح نفسه كان علويا بل هو محمد بن اسماعيل نفسه ولا يمكن ان يكون غيره ، وأن القرامطة شعبة مارقة انسلخت عن الدعـــوة الاسماعيلية · وقد اشار الاستاذ جب (١) Gebb الى ان مامور قد وضع قضيته موضعا ضعيفا جدا حين جعل هذا الدفـاع هو الدفاع الاخير عن صحة نسب الفاطميين ·

بقي علينا ان نجمل رأينا في هذه المشاكل ، معتمدين اعتمادا كبيرا على بحوث ماسينيون وكازانوفـــا وايفانـــوف والهمداني وغيرهم ، وعلى عدد من مصادر جديدة · وفصولنا التالية انما تمثل محاولة لاثباتها ·

---

(١) B. S. O. S. Vll , 984

١ ـ ابتدأت الحركة الاسماعيلية بجماعة اسماعيل بـن جعفر بمؤازرة فعالة من اسماعيل نفسه وابنه محمد • وكان بين جماعـة اسماعيل وحمد ومنظمي الفرقة الاولين أبو الخطاب وميمون القداح وعبد الله بن ميمون •

٢ ـ والحركة الفاطمية في اليمن وافريقية هي الاستمرار المباشر للحركة التي نظمها اسماعيل وأبو الخطاب وميمون القداح وكـــان عبيد الله المهدي خليفـة ميمون من بعده في القيـادة • والخلفـاء الفاطميون مع هذا ، علويون خالصون ، وأولهم القائم من نسل الائمة المستورين الذين عمل لهم عبيد الله وأجداده القداحون •

٣ ـ وليس ضروريـــا أن نفهـــم من هذا أن القرمطيـــة = الاسماعيلية • أجل ان عبد الله بن ميمون أحد مؤسسي الاسماعيلية ولكن علينا ان ندلل على علاقته بالقرامطة •

٤ ـ كان قرامطة الهلال الخصيب قسما من الدعوةالاسماعيلية•

٥ ـ كانت الحركة القرمطية في البحرين منفصلة في اصلها ـ وربما كانت حنفية او اسماعيلية متشعبة ـ ثم انضوت جماعة تحت لواء الخلفاء الفاطميين ، الا انهـا ظلت محافظة على شخصيتها • وقد يرجع تاريخ لفظ القرامطة الـــى مـــا بعد انضمامهم الـــى الاسماعيلية •

٦ ـ ان النضال الاخير بين القرامطة والفاطميين كان بسبـــب الانشقاق بين المعتدلـين منهم والمتطرفـين بعد تأسـيس الدولـــة الفاطمية •

* * *

٤ ـ اصول الاسماعيلية

أ ـ تمهيد :

قبل ان نبدأ بالتحقيق في أصول الاسماعيلية علينا أن نشرع ببحث تمهيدي في الفرق الشيعية ووجهات النظر في الاصل الذي نشأت منه هذه الحركة . ان تاريخ التشيع في القرن الاول لا يزال يتطلب تمحيصا كثيراً . ويجب اعتبار ما يلي من البحث محاولة ذات قيمة موقوتة (١) .

بدأ التشيع بوفاة محمد (ص) حركة سياسية محضة ، تطلب أن يكون علي خليفة للرسول . وكانت خلال عهدها الاول عربية تفصح عن مطامح شرعية ولم تتأثر بأفكار اجتماعية ودينية ولا بمشاكل عالم الشرق الادنى . وقد حافظ التشيع في النصف الاول من القرن الاول الهجري على هذه الطبيعة غير الدينية . ولم يختلف أنصار علي والعلويون ـ أهل النص والتعيين ، كما كانوا يسمون ـ عن سائر الامة من حيث المعتقدات الدينية بوجه من الوجوه . واعتبر الناس حزبهم تشيعا حسنا . وكانت هذه الفئة عربية خالصة لم

---

(١) لقد اعتمدنا في تفاصيله على كتاب الشيعة للنوبختي وهو اغنى المصادر مادة وأوثقها رواية . ورجعنا الى مصادر أخرى خصوصا الى بحوث فان فلوتن وفلهوزن وجويدي وغيرهم .

تحاول أن تكسب عطف الاجناس التي خضعت للعرب أو أن تحظى بنصرتهم (١) ٠

وبعد أن أقام المسلمون عشرات السنين في أكثر أقطار الشرق الادنى ثقافة ، وحكموا أهلها ، نشأت ظروف جديدة وانتقلت الحركة الى طور آخر يختلف عن طورها الاول كل الاختلاف ، فقد كدح الشيعة ـ بعد أن أخفقوا وهم حزب عربي ـ الى أن يبلغوا النصر ويحققوا لانفسهم الظفر وهم فرقة اسلامية ٠ وكان استياء الموالي والمظالم التي يشكون منها مرتعا خصبا لكل حركة ثورية ، فما ان اتجهت الحركة الشيعية اليهم اتجاها قويا حتى التف حول فرقتها جمع غفير منهم في أجزاء كثيرة من الامبراطورية ٠ فكان لزاما أن يؤدي انضمام عدد كبير ممن لم يصح اسلامهم ولم يدخل الايمان في قلوبهم من الفرس والارمن والسوريين وغيرهم ، الى تغيير جوهري من حيث العقائد والاغراض ٠ اذ سرعان ما أخذت موجة زاخرة من المعتقدات الغريبة طريقها الى المذهب الشيعي متسللة من المسيحية والايرانية وهراطقة بابل القديمة ٠ وأصبحت مقاليد الحركة بيد الموالي وغيرهم من الطبقات المضطهدة وسيلة توسلوا بها واتخذوها ذريعة في ثوراتهم الاجتماعية والدينية ضد ظلم الدولة السنية ٠

ولكن حينما أخذ التمايز العنصري بين العرب والموالي يزول شيئا فشيئا ويحل محله التمايز الاقتصادي بين أصحاب الامتيازات والمحرومين منها ، أصبح الشيعة الثوريون لا يمثلون الموالي وحدهم بل اصبحوا لسان حال الطبقات المظلومة كلها ٠ فصار ثرادشتيو

---

(١) فان فلوتن ٣٤ وما بعدها ٠ جويدي R. S. O. 13 , 14 , etc
Storia , 307 ff :

الطبقات الراقية من الفرس سنة وبقوا على امتيازاتهم (١)، وأخذ فقراء عرب العراق وسورية والبحرين بالآراء الشيعية المتطرفة ٠

وكان ظهور فكرة المهدي احدى العلامات الفارقة لتغير التشيع العربي الى تشيع الموالي ٠ ذلك ان الامام الشيعي ، بعد أن كان ممثلا سياسيا للدولة ، أصبح شخصية غامضة ذات أهمية دينية كبرى ، كانت في أول الامر مسيحا ثم صارت الهاً مجسدا ٠ وقد نسبت هذه العقيدة الى أصول مختلفة : فدارمستتر (٢) ينسبها الى أصل فارسي ، فيقول جاء بها الى الاسلام جماهير من الفرس لم يكتمل اسلامها حملت معها الفكرة الآرية القائلة بوجود أسرة مختارة ذات نشأة الهية تتوارث نور الله (فر يزدان) من جيل الى جيل حتى تنجب أخيرا (ساأوشنت) أي المسيح ٠ وقد انتقلت هذه الفكرة الى أسرة النبي وشخص علي ٠ وستوك (٣) ينسبها الى أصل مسيحي مبني على فكرة عودة عيسى المسيح وفكرة نهاية العالم ٠ أما جويدي (٤) فيتابع دار مستتر ويذهب الى أبعد منه اذ يعزو نشوء الآراء الغالية الى دعاية مثنوية مقصودة ٠ ونجد ماسينيون (٥) ، اخيرا ، يرجع بفكرة المهدي الى الاسلام ، فيقول انها نشأت من القرآن وتقاليد المسلمين ومن القصص الشعبية العربية ، وانتعشت بتأثير الاحوال الاجتماعية ٠

---

(١) صديقي ٦١ ٠

(٢) المهدي ١٥ وما بعدها ٠

(٣) Verspr. gesch , 1, 162

(٤) R. S. O. 4

(٥) محاضرات في الكلية الفرنسية : ١٩٣٦ ـ ٣٧ ٠

١ ـ (بدايات التشيع) ـ فكرة المهدي

وينسب كثير من المؤرخين المسلمين بدايات **التشيع الثوري** الى رجل اسمه « عبد الله بن سبأ » ، وهو يهودي يماني عاصر عليا ، وكان يدعو الى تأليهه فأمر علي بحرقه لما دعا اليه · ومن هنا قيل : ان أصل التشيع مأخوذ من اليهودية (١) · ولكن التحقيق الحديث قد أظهر أن هذا استباق للحوادث وأنه صورة مثل بها الماضي وتخيلها محدثو القرن الثاني الهجري من أحوالهم وأفكارهم السائدة حينئذ · وأظهر فلهاوزن (٢) وفريدليندر (٣) ، بعد دراسة المصادر دراسة نقدية ، بأن المؤامرة والدعوة المنسوبتين الى ابن سبأ من اختلاق المتأخرين · وبيّن كايتاني (٤) ايضا ، في فصل حسن الحجة ، أن مؤامرة كهذه ، بهذا التفكير وهذا التنظيم ، لا يمكن ان يتصورها العالم العربي المعروف عام ٣٥هـ بنظامه القبلي القائم على سلطان الابوة · وأوضح انها تعكس أحوال العصر العباسي الاول بجلاء · فقد اقتضى قتل الامام علي واستشهاد الحسين وأتباعه المفجع في كربلاء حدوث تبدل اجتماعي كبير قبل ان يركن ظهور **التشيع الثوري ذي الصبغة المهدية** ·

يحتمل ان تكون كلمة المهدي قد أطلقت على علي والحسن والحسين (٥) على انها من ألقاب التعظيم · أما مبدأ استعمالها بالمعنى « المسيحي » فقد ظهر ـ بلا جدال ـ في ثورة المختار (سنة ٦٦هـ ـ ٦٨٥م) الذي ادعى ان محمد بن الحنفية ـ احد ابناء علي

---

(١) الكشي ٧٠ ـ ٧١ ، وقد اضلت فان فلوتن مصادره فنسب دورا هاما للسبئية

(٢) Rel. Pol 91 . - Skiz , Vl , 124 - 5 and 133.

(٣) Z. A. XXlll , 296 and XXlv ,

(٤) Annali , Vlll , 36 FF.

(٥) سنوك ١٥٠ ـ مكدونالد : مقالة عن المهدي في دائرة المعارف الاسلامية·

من أم حنفية ـ هو المهدي المنتظر · لقد بدأت الثورة في الكوفة تلك المدينة التي هيأتها الظروف لتكون مصدرا لمثل هذه الحركة ومستقرا لها ، والتي كانت مدينة جديدة آخذة في التوسع ، يسكنها أناس من مذاهب وأجناس لا تحصى ، كلهم مضطرب مستاء يكره الحكومة والمذهب الذي تمثله والطبقة الطالمة التي تؤيدها ·

هكذا كانت الكوفة حينما بدأ المختار ثورته فيها : كانت مرتعا مدهشا لحركات مختلطة العناصر ، مصطبغة بفكرة ظهور المسيح ، غرضها احداث ثورة اجتماعية · ولقد كان استظهار المختار بالموالي في دعوته مطلع حركة خطيرة بعيدة الاثر · ولم يجد المختار رجلا في سن موافقة من سلالة فاطمة فاختار محمد بن الحنفية ليكون امامه المهدي · وجعله أسمى ممثل للحكومة الالهية على الارض ، وخليفة علي والرسول بتفويض الهي · وانتشرت الحركة انتشارا سريعا على رغم القضاء على المختار ووفاة محمد · وادعى كثير من اتباعه أن محمدا لم يمت حقا، لكنه في غيبة وسيعود يوما ليملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا (١) · ومن هنا ظهرت لاول مرة عقيدة الغيبة والرجعة المهديتين اللتين هما من خصائص جميع الفرق الشيعية المتأخرة تقريبا ·

وفي خلال السبعين سنة ونيف التي مرت بين ثورة المختار وبداية ظهور الاسماعيلية بمفهومها الخاص وجدت نزعتان رئيسيتان بين الفرق الشيعية الغالية ، يصح تسميتها بالفاطمية والحنفية ـ ولا تلتبسن هذه التسمية بالمدرسة الشرعية الحنفية ـ كان أصحاب النزعة الاولى أتباع الائمة من سلالة علي وفاطمة أي الحسن والحسين وذريتهما · واصحاب النزعة الثانية اتباع محمد بن الحنفية ومن خلفه من عقبه · ولم يكن التمايز بين هذين الفريقين ثابتا بحال من الاحوال · ويبدو ان مئات من الاتباع كانوا ينتقلون من جانب الى

---

(١) حديث يتصل بفكرة ظهور المهدي ترند ذكره في كتب الشيعة ·

اخر بسهولة ويسر · ويظهر ان الفاطمية كانت في عصرهـــا الاول تمثل الطرف المحافظ ، وكانت لا تزال تقذف من اتباعها فئات صغيرة تجتذبها الحنفية الغالية · ولما زالت الحنفية مـــن الوجود أصبحت الفاطمية ـ بعد أن استغرقت بقايا الحنفية ـ هي الفرقة الغالية بين الشيعة ، وواصلت النضال القديم ضد فرقة الاثني عشرية المعتدلة الجديدة ·

وقد فقدت الحنفيـــة بعد تولـــي العباسيين السبب الذي يبــرر وجودها · وكان من نصيب اسماعيل ، الامام الفاطمي السابع ، مع طائفة من أصحابه ان يؤلفـــوا بين الطوائف المختلفـــة المتخاصمة ويعززوا كيانها بحركة كبيرة واحدة تذعن بالطاعـــة لامام واحد ، وتدين بعقيدة واحدة ·

٢ - المذاهب والاتجاهات الشيعية

وينبغي ان يلاحظ ان هذا البحث لا يتناول الا الشيعة الغلاة ولا يعنى بأولئك الذين حافظوا على تقاليد التشيع السياسي القديم ولو بشيء من التحويـــر ، أمثـــال الزيديـــة · ولا يعنى بالشيعة الاثني عشرية ·

كانت الفرق خلال عصر تأليفها الذي أشرنـــا اليه ، كثيرة لا تحصى ، وكان يظهر ، من آن الى آن ، أشخاص عديدون يدعـــون الانتساب الى علي ويحملون علم الثورة ثم يصبحون ـ بعد اخفاقهم ـ من شخصيات الاساطير والخيال · ويقوم ايضا ، من حين الى حين ، داع متحمس ينسى سيده العلوي ويدعو لنفسه · وقد زاد الحكاية تعقيدا عدد من فرق فارسية ونصرانية ويهودية لا تمت الى الاسلام بصلة ، ولكنها شاركت غلاة الشيعة بعض عقائدهم ، فخلط بينهـــا المؤرخون من أهل السنة · واخص هـــذه الفرق هي : الخرمدينان والمزدكية والعيسوية (من هراطقة اليهود) ·

ولنبدأ بالمامة موجزة عن سلالة الحنفية ، اذ لها بعض الاهمية في اظهار أصل كثير من الافكار الخاصة بالاسماعيلية قبل منشئها . وتبدأ هذه السلالة كما رأينا **بالمختارية** وتسمى أيضا **بالكيسانية** ، نسبة الى كيسان وهو اسم آخر للمختار (١) . وقد افترقت بعد وفاة محمد بن الحنفية الى ثلاث فرق :

١ ـ **الكربية** (٢) : وهم اصحاب ابن كرب وحمزة بن عمار البربري (٣) ، وقد زعم هؤلاء أن محمد بن الحنفية لم يمت وانما اختفى وسيرجع لتأسيس مملكة الله على الارض . ثم ادعى حمزة أن محمد بن الحنفية هو الله وأنه هو نبيه. ومن الكربية رجلان يقال لاحدهما صائد وللاخر بيّان (٤) . وقد أنشأ بيّان فرقة باسمه.

٢ ـ **الفرقة (٥) القائلة بأن محمد بن الحنفية غائب في جبل** رضوى بالحجاز وسيرجع بعد الغيبة فيملأ الارض عدلا (بعد ان ملئت جورا) ، وكان السيد الحميري الشاعر منهم ثم انتمى الى جعفر الصادق .

٣ ـ **الهاشمية** (٦) : وهم أتباع ابي هاشم . قالوا بانتقال

---

(١) هذا أحد الاشتقاقات المقترحة لهذا الاسم .

(٢) النوبختي ٢٥ ـ الاشعري ١/١٩ ـ البغدادي ٢٧ .

(٣) النوبختي ٢٥ منهاج المقال ١٢٦ .

(٤) النوبختي ٢٥، ٣٠ ـ البغدادي ٢٢٧ ، الترجمة ٤٦ ـ الشهرستاني ١١٣ ، الترجمة ١٧١ ـ فريد ليندر : ابن حزم ١/٦٠ ـ الايجي ٣٤٤ ـ الملطي ١١٨ ـ الاشعري ١/٥ ـ الكشي ١٨٨ و ١٩٥ وما بعدها ـ منهاج المقال ٧٦ . وعن صاعد انظر : الكشي ١٨٥ و ١٩٧ ، ومنهاج المقال ١٨١ .

(٥) النوبختي ٢٦ ـ ١/١٩ ـ ٢٠ ـ المسعودي : مروج الذهب ٥/١٨٢ ـ الشهرستاني ١/١٦٨ .

(٦) النوبختي ٢٧ ـ الاشعري ١/٢٠ .

الامامة من محمد بن الحنفية الى ابنه أبي هاشم • وزعم بعضهم انه المهدي حقا وتفرعت شيعته الى أربع فرق بعد موته سنة ٩٨هـ ـ ٧١٦م وهي :

(أ) فرقة قالت ان ابا هاشم أوصى الى اخيه علي بن محمد ، ثم اوصى علي بالامامة الى بني العباس •

(ب) فرقة قالت انه اوصى الى عبد الله بن معاوية من ولد ابي طالب والد علي • وسمى أصحابها بالحارثية نسبة الى عبد الله بن الحارث • وكان هذا غالبا من أهل المدائن أوجد فرقة خاصة به ثم انضم الى عبد الله بن معاوية • ويظهر ان الفرقتين هما الحربيـــة والجناحية نفسيهما (١) •

(ج) فرقة زعمت ان الخليفة بعده هو محمد بن علي العباس • وذلك ان ابا هاشم أوصى له بالامامـــة في الشام • وهـــؤلاء هم الراوندية ، الذين لهم صلة وثيقة بقيام الاسرة العباسية (٢) •

(د) فرقة قالت ان الامام القائم المهدي هو ابو هاشم وسيرجع ، ولا وصي بعده • ومنهم بيّان ادعى ان خليفته من بعده وقد قبض عليه وصلب سنة ١١٩هـ ـ ٧٣٧م (٣) •

ان كل هذه الفرق ـ على ما تقوله مصادرنا ـ بشّرت بعقائد غالية ونسبت للامام قوى خارقة وأعمالا معجزة • وذهب بعضها مثل

---

(١) الاشعري ١/٦،٢٢ ـ منهاج المقال ٢٠١ ـ البغدادي ٢٢٣ ، الترجمـة ٥٦و٢٢٥/٥٦ ـ النوبختي ٢٩ ـ فريد ليندر : ابن حزم ١/٤٥ و٢/١٢٥ ـ ٦ ـ الشهرستاني ١١٢ ، الترجمـة ١٧٠ ـ الايجي ٣٤٥ ـ اقبـال : خنداني ٢٥٢و٤ • انظر ايضا ترتن : Miscellany , 924

(٢) النوبختي ٢٩ و ٤١ ـ الاشعري ١/٢٠ ـ ٢١ وللتوسع انظر فان فلوتن Opkonist في غير محل واحد •

(٣) النوبختي ٣٠ •

الكربية الى ابعد من ذلك فألهته ونسبت نظريات اباحية الى كثيرين منهم، كحمزة بن عمارة الذي قيل انه نكح ابنته، وأحل جميع المحارم وزعم ان الفريضة الوحيدة هي معرفة الامام (١) (فمن عرفه فليصنع ما شاء) · وقد لعبت عقيدة الغيبة والرجعة دورا خطيراً في حياة هذه الفرق ·

ومما يسترعي الاهتمام فكرة تفويض الامامة والوصاية بها · ومن هنا منح ابو هاشم حقوقه للعباسيين ، وادعى بيّان ان الامام نصبه خليفة · وقد طرأ على هذه الفكرة تطور كبير في النظام الاسماعيلي ·

هذه اذن هي الفرق الرئيسية لسلالة الحنفية · وباستيلاء العباسيين على الحكم ـ وكانت حركتهم فرعا من التشيع الحنفي ـ اختفت الحنفية بعد اختلاجات واهية أخيرة ، واستقطبت الدعوة الفاطمية من بقي من العاملين عليها ·

ب ـ الفرق الحسنية

وقبل ان ننتقل الى الكلام على السلالة الفاطمية الحسينية نشير بايجاز الى الفرق المتصلة بذرية الحسن ـ الابن الثالث لعلي · لقد عظم شأن الذرية بقيام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي المعروف بالنفس الزكية (١٠٠ ـ ١٤٥هـ ٧١٨ ـ ٧٦٢م) · وقد ادعى محمد النفس الزكية بأنه المهدي ولما يتجاوز عمره التاسعة عشرة · وعمل على نشر هذه الادعاءات المغيرة بن سعيد العجلي مؤسس الفرقة المغيرية · وقال أتباعها ان محمد النفس الزكية هو المهدي وان المغيرة نبي · فلما توفى محمد ادعوا بأنه في الغيبة وانه سوف يرجع · وكان المغيرة مولى خالد القسري طلبه حين

---

(١) النوبختي ٢٦ ·

سمع بأمره وقتله سنة ١١٩ هـ ٧٣٧ م · ويظهر ان لهـــذه الفرقة اثرا كبيرا في تطور الافكار الباطنية ، وتعتبر احيانا شعبة مـــن الخطابية · ومما يجب التنبيه اليه ان النفس الزكية نفسه لم يكـن يميل الى الاعتراف بالمغيرة (١) ·

ج ـ السلالة الفاطمية

كانت السلالة الفاطمية بعد فاجعة كربلاء في همود مؤقـــت لفقدان الداعين البالغين · وأول حركة خطرة اعقبت هذا الهمـود هي حركة زيد بن علي زين العابدين وابنيه يحيى وعيسى · وقـد اطلق اسم زيد على فرقة شيعية هي الزيدية · وهي ما زالت دائبة على تقاليد التشيع السياسي العربي ، ولا تختلف عن السنة فـي المذهب الا قليلا ·

وفي حياة محمد الباقر الامام الفاطمي الخامس ، كثر اتباع السلالة الفاطمية كثرة هائلة وتشعبت منهم فرقة هامة واحدة على الاقل هي المنصورية · وهؤلاء هم اتباع ابي منصور العجلي الذي دعا الى امامة محمد الباقر ثم ادعاها لنفسه(٢) ويعتقد ان هـذه الفرقة كانت تبشر بالمادية الفلسفية وانها استباحت الموبقات ـ الا النوبختي ـ كما جوزت خنق مخالفيها وقتلهم بالاغتيال· وقد سبقت هذه الحركة تطورات الاسماعيلية في مناحـي عدة ، وعدهـــا ابن

---

(١) النوبختي ٣٧ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ـ ٥٥ ، ٥٧ ـ الشهرستاني ١٣٤ ، الترجمة ٢٠٣ ـ البغدادي ٢٢٩ ، الترجمة ٤٩ ـ الملطى ١٢٢ ـ الاشعري ١/٦ ـ فريد لينذر : ابن حزم ١/٥٩ ـ الايجي ٣٤٤ الكشي ١٤٥ ـ ميـزان الاعتدال ٢/١٩١ ـ اقبال : خندان ٢٦٤ ·

(٢) ادعى أبو منصور ، على ما يقول النوبختي ، بأنه خليفة محمد النفس الزكية ·

حزم فرقة من الخطابية • ولما وقف يوسف بن عمر الثقفي والي العراق على امرها اخذ ابا منصور وقتله حوالي سنة ١٢٥ هـ ٧٤٢م ، ولاحق اتباعه ونكل بهم (١) •

ولما توفي محمد الباقر افترق عنه بعض اتباعه وادعوا امامة محمد النفس الزكية• وكذبهم جعفرالصادق الامام الفاطمي السادس ورفض هو واتباعه مؤازرة الداعي (٢) • اما سائرهم فقد تبعوا جعفر الصادق وقالوا بامامته وظلوا على ولائهم له • وكان من ابرزهم رجل يقال له ابو الخطاب الذي اسس له فرقة الخطابية وقد تفرقت شعبا عدة فيما بعد •

ولما توفي جعفر في المدينة عام ١٤٨ هـ ـ ٧٦٥ م حدث انشقاق خطير جعله النوبختي (٣) ست فرق يمكن ان نجملها في ثلاث جماعات هي :

١ ـ **الناووسية** : وهم الزاعمون بأن جعفر لم يمت ولا يموت وهو القائم المهدي وسوف يرجع (٤) •

٢ ـ **اتباع موسى الكاظم** بن جعفر الصادق : وهم الشيعة الاثنا عشرية او المعتدلون ، ولا يتناول بحثنا فرقهم الفرعية •

---

(١) النوبختي ٣٤ ـ الشهرستاني ١٣٥ ، الترجمة ٢٠٥ ـ البغدادي ٢٣٤ ، الترجمة ٥٧ ـ فريد ليندر : ابن حزم ١/٦٢ ـ الايجي ٣٤٥ ـ الملطي ١٢٠ ـ الكشي ١٩٦ ـ الاشعري ١/٩ ـ كولدزيهر : Z. A. XXII , 339 , N. 4 .

(٢) النوبختي ٥٤ ـ لاحظ شرح اصطلاح كلمة رافضة : من رفض ، أي رفض جعفر مساعدة النفس الزكية •

(٣) ٥٧ •

(٤) الاشعري ١/٢٥ ـ الفهرست ١٩٨ •

٣ ـ الاسماعيلية : وهم القائلون بامامة اسماعيل اكبر ابناء جعفر ثم بامامة ابنه محمد بعد وفاة ابيه اسماعيل ·

وسرعان ما انقرضت اولى هذه الجماعات· ونشأت من الثانية الشيعة الاثنا عشرية المعتدلة · اما الثالثة فقد احتفظت بالتقاليد الرئيسية للتشيع الثوري وهي موضوع بحثنا المفصل (١) ·

ب ـ بواكير الاسماعيلية

كانت الظروف والاحوال في الربع الثاني من القرن الثاني للهجرة مؤاتية لاستئناف الحركات الثورية واعادة توجيهها · فقد ادى تسلم العباسيين الحكم سنة ١٣٢هـ ـ ٧٥٠م الى تغييرات جوهرية عدة اهمها ، كما أشرنا سابقا ، فوز الحزب الهاشمي

---

(١) لم أتعرض فيما سبق للفرق غير الاسلامية · ولكن تجدر الاشارة الى فرقتين منها ، احداهما قبل الاسلام ، نظرا للاسلوب المهم سبقتا به تطورات الاسماعيلية وربما اثرتا به عليها ·

اولاهما : المزدكية ، وهي فرقة الحادية ايرانية دعت الى نوع من الشيوعية الدينية · والكتاب الذين ينسبون للاسماعيليين عقائد واعمالا شيوعية يعزونها عادة الى أصول مزدكية · انظر صديقي Mouvements , etc وثانيتهما : الفرقة اليهودية العيسوية ، ومؤسسها ابو عيسى ، يهوديا أميا يحترف الخياطة في اصفهان · وقد ادعى أنه المسيح في ايام عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ ـ ٦٨٨ ـ ٧١٥ م) · وكان يحرم الخمور واعتقد بتطور الانسان وقد حاول ان ينهض باصلاحات عدة ، وقد اعترف بعيسى ومحمد نبيين صادقين بالنسبة لمن بعثا اليهم ، وأوصى أتباعه بقراءة الانجيل والقرآن · وبهذا يكون قد وضع ، منذ ذلك التاريخ القديم ، عقيدة الاسماعيلية المتأخرة في نسبية الاديان والنبوة (أنظر الفصل الرابع) · ولما قضي عليه قال أتباعه انه في الغيبة · انظر المقال في دائرة المعارف اليهودية وتاريخ اليهود ابينوف ٢٣٨/٣ ·

الذي مثله العباسيون واصطباغ الفرقة بالطابع الرسمي ، الامران اللذان اديا الى نهاية سلالة المدعين من الحنفية وتركا المجال مفتوحا للسلالة الفاطمية التي كان جعفر ابرز رجالها ٠

ثم ان الثورة العباسية أوجدت مرحلة جديدة في تاريخ الاسلام الاجتماعي والاقتصادي : فقد أنتج انصهار الطبقات الحاكمة غير العربية واندماجها بالدولة العربية السنية ، وازدياد التقارب والوحدة بين طبقات الرعية من العرب والموالي تقسيما جديدا للطبقات ، يعتمد على الاقتصاد اكثر مما يعتمد على النسب والعنصر ، كما كان في القرن الاول ، تقسيما مكنه وعززه انتقال الخلافة من دولة زراعية عسكرية الى امبراطورية تجارية عالمية ٠ وقد بدأ هذا التغيير خلال القرن الثاني وقطع شوطا بعيدا في القرن الثالث ٠ فكان طبيعيا ان ينجم عن هذا التبدل العظيم في الاحوال الاجتماعية ونظام الطبقات استئناف تنظيم الحركات وتوسيعها ، تلك الحركات التي تعبر عن تمرد الطبقات والشعوب الرازحة تحت الظلم ٠ وقد ولدت الظروف العصيبة في القرنين الثالث والرابع سلسلة من الثورات والفتن ٠ ويمكن تسمية القرن الثاني بدور حضانة الثورات ٠

أ ـ صلة الخطابية والاسماعيلية

تعدّ غالبية مصادرنا ابا الخطاب اول من نظم حركة ذات طابع باطني خاص ٠ ويعرف بمحمد بن ابي زينب وبمقلاص ابن ابي الخطاب ، من موالي بني اسد (١) وكان من المقربين للامامين محمد الباقر وجعفر الصادق ، وظل احد اتباعهما المخلصين حتى

(١) الكشي ١٨٧ ـ فريد ليندر : ابن حزم /٦٩ ٠

تبرأ منه جعفر (١) • ويظهر ان التبرؤ قد اشاع الدهشة والفزع بين الشيعة • وامتلأت صفحات عدة من كتب الاثني عشرية في تفسيره وشرحه (٢) •

وأغنى البحوث عن أعمال أبي الخطاب وأكثرها وثوقا ما كتبه النوبختي (٣) : بدأ ابو الخطاب - بناء على ما اورده النوبختي - داعية لمحمد الباقر وجعفر الصادق ، وغلا غلوا عظيما ، فزعم ان جعفر جعله قيّمه ووصيه من بعده ، ثم ترقى الى ان ادعى النبوة ••• الخ وأحل المحارم وأباح الشهوات وقال بالتقية (٤) - وهي تجوّز الكذب والشهادة الباطلة في صالح الدين - كما قال هو واتباعه بأن الجنة والنار المذكورتين في القرآن ان هما الا رجلان وليس لهما معنى خارج وجودنا الارضي • وادخلوا نظرية «النور» الشرقية القديمة في التناسخ (٥) وقد فصلها النوبختي ووضحها وانها لتقرب مما ورد في كتابات الاسماعيلية المتأخرة كثيرا • واجتمع بعضهم في الكوفة بزعامة ابي الخطاب فلما بلغ أمرهم عيسى بن موسى والي المدينة حاربهم وقتل منهم سبعين رجلا في المسجد ، وقبض على أبي الخطاب وقتله وصلبه سنة ١٣٨هـ - ٧٥٥م (٦) • وكان جعفر قبل ذلك قد كذب ابا الخطاب على رؤوس الاشهاد وتبرأ من جميع أعماله علانية •

ولما مات ابو الخطاب تحول أتباعه الى محمد بن اسماعيل

---

(١) الكشي ١٩١ - ١٩٢ •
(٢) الكشي ، منهاج المقال •• الخ ، في موضوع ابي الخطاب •
(٣) ٣٧ ، ٥٧ - ٦٠ •
(٤) غولدزيهر : Z. D. M. G. IX, 1906, P. 222
(٥) وفي الشهرستاني ايضا ١٣٦ ، الترجمة ٢٠٦ •
(٦) هذا هو التاريخ الذي يذكره الكشي ص ١٩١ ، وروايته أوثق من رواية النويري التي تجعل تاريخ قتله سنة ١٤٥هـ - ٧٦٢م
Sacy , 1 , Intro, 440.

حفيد جعفر واعلنوا ولاءهم له · وكانت فرقة الاسماعية هي الخطابية نفسها (١) ·

ان ما قدمناه آنفا هو الخطوط الاساسية لما ذكره النوبختي عن الخطابية · اما عقيدتها فقد اشبعتها بحثا وأيد اخبارها غالبية السنة الذين كتبوا عن الفرق المارقة · وأورد لنا البغدادي (٢) والشهرستاني (٣) تفصيلات أكثر من النوبختي عن الفرق الفرعية للحركة الخطابية بعد موت أبي الخطاب · تلك هي :

(١) المعمرية
(٢) البزيغية
(٣) العميرية
(٤) المفضلية

وتختلف بينها في مسائل بسيطة في العقيدة وفي الرؤساء الذين تولوا قيادتها ·

ومع ان غالبية من كتب من السنة في عقائد الفرق المارقة لا يشيرون الى اي اتصال مباشر بين الخطابية والاسماعيلية ، فان ما ذكروه من عقائد الخطابية يؤيد ما ذهب اليه النوبختي في وحدة هاتين الحركتين · فمن ذلك ان البغدادي (٤) والاشعري (٥) – ويؤيدهما المقريزي (٦) – ينسبان للخطابية عقيدة الامام الصامت والناطق (٧) وهي عقيدة اختصت بها الاسماعيلية · ثم ان ابن

---

(١) الكشي ٥٨ ·
(٢) ٢٣٦ ، الترجمة ٦٢ ·
(٣) ١٣٦ ، الترجمة ٢٠٦ ·
(٤) ٢٣٦ ، الترجمة ٦٣ ·
(٥) ١/١٠ ·
(٦) الخطط ٢/٣٥٢ ·
(٧) Desacy , 1 , Intro ., 103 ff · وكذلك كلام بير ·

حزم (١) والشهرستاني (٢) والمقريزي (٣) وآخرين غيرهم ينسبون للخطابية طريقة التأويل الاسماعيلي كما يفعل النوبختي ، ويقال مثل ذلك في نظرية « النور » ٠

وفي كتب الشيعة الاثني عشرية معلومات اخرى عن عقائد الخطابية ٠ فالكشي (٤) يسرد بعض الروايات التي تقص علينا مزاعم أبي الخطاب والاسباب التي دعت جعفرا لكي يتبرأ منه ٠ وفيما يلي بعض الامثلة :

ـ كتب جعفر الى أبي الخطاب يقول : « بلغني أنك تزعم أن الزنى رجل وان الخمر رجل وان الصلاة رجل والصيام رجل والفواحش رجل » (٥) ٠

ـ قال عنبسة بن مصعب (٦) : قال لي (جعفر) ٠٠٠ اي شيء سمعته من أبي الخطاب ؟ قلت : « سمعته يقول : انك وضعت يدك على صدره وقلت له عه ولاتنس ، وانك تعلم الغيب وأنك قلت له هو عيبة علينا وموضع سرنا، أمين على احيائنا وامواتنا٠ فأنكر ذلك جعفر انكارا شديدا (٧) ٠

ـ وهناك روايات أخرى تقص علينا كيف زعم أبو الخطاب ان جعفرا ذو طبيعة الهية ، وأن له معجزات وقوى خارقة ؛ وكيف

---

(١) فريد ليندر ٠ ابن حزم ٢/١١٢ ٠
(٢) ١٣٦ ، الترجمة ٢٠٦ ٠
(٣) الخطط ٢/٣٥٢ ٠
(٤) الخطط : ١٨٧ ـ ١٩٩ ٠
(٥) ١٨٨ ٠
(٦) يذكره المجلسي بأنه أحد أتباع الفرقة النواسية (بحار الانوار ٩/١٧٥) انظر ايضا الكشي ٢٢٣ ٠
(٧) الكشي ١٨٨ ٠ انظر ايضا ماسينيون : سلمان ص ٤٤ حيث تجد مثل هذا القول منقولا عن نسخة نصيرية ٠

قال بالتناسخ وعصي أوامر جعفر الصريحة · وهناك غير هـــذه الشواهد المستمدة من التشابه بين العقائد الدينية مما يدل علـــى العلاقة بين الخطابية والاسماعيلية، شواهد وبينات تاريخية نلمسها في بعض المصادر · فيقول ابن رزّام (١) بأن الميمونة او اتباع ميمون القداح كانوا تلاميذ أبي الخطاب وحوارييه · ويذكـر ابـن الاثير (٢) بأن أبا الخطاب كان « أول من فعل ذلك » وبأن ميمـــون القداح كان تابعا له · ويقول النويري ، رواية عن ابـن شداد (٣)، بأن ميمونا من اصحاب ابي الخطاب · وكانوا يقولون بالتأويـــل والباطن · وبأن الحركة التي بثها ميمون وابنه كانت في جوهرها حركة أبي الخطاب نفسه · ويجعل رشيد الدين (٤) أبا الخطـــاب مؤسسا ، وميمونا وابنه عبد الله تابعيـــن له · وأخيرا يمكننا ان نضيف الى ما مر اشارة وردت في كتـــاب زيدي هو كتاب حقائق المعرفة للامام المتوكل زيدي رسيّ أمـــام اليمـــن (٥٣٢ ـ ٥٦٦ هـ ١١٣٧م ـ ١١٧٠م) حيث يقول : « ··· الاسماعيلية وهم المباركة والخطابية (٥) » ·

ويحسن بنا في هذا المقـــام ان نتساءل عمـا يمكن ان نجده من الاشارات في كتابات الاسماعيلية الى ابن الخطاب والخطابيـة ولكننا في تساؤلنا هذا غير موفقين اذ جميع الوثائق الاسماعيلية المتيسرة لدينـا تقريبا ترجع الى عصر نجـاح الدعوة وتـأسيس دولتها عندما كان المدافعون عن هذه الفرقة معنيين بانكار العلاقة

---

(١) الفهرست ١٨٦ ·
(٢) ٨/٢١ ·
(٣) De Sacy , 1 , Intro . 1437 ff ـ كاترمير : المقريزي ١٣١ فاكنان ٤٧ ·
(٤) Levi 513 and 519 وفي جويني ١٥٢/٢ عبارة مشابهة لذلك ·
(٥) مخطوط في المكتبة التيمورية ·

بينهم وبين رجال ساءت سمعتهم كابي الخطاب • نعم اننا نحس فيها ، ومن حيث العموم ، تأييدا ضمنيا للعقائد المنسوبة الى ابي الخطاب ، ولكننا لا نعثر على اشارات صريحة بينة ، الا قليلا ، مبعثرة هنا وهناك • فالداعي الفاطمي ابو حاتم الرازي يذكر ابا الخطاب في كتابه (كتاب الزينة - اوائل القرن الرابع الهجري ، القرن التاسع الميلادي) ويجغل اعماله واستشهاده (١) • ويذكر ابو حنيفة نعمان المتوفى سنة ٣٩٣ هـ = ٩٧٤ م قاضي المعز في كتابه دعائم الاسلام ، (٢) وفرقته ويعدها من الفرق المارقة • ولكن كتابه ظاهري موضوع لعموم الناس ، لذلك لا يعول عليه كثيرا في هذه البحوث •

وفضلا عن ذلك ، فان لدينا مجموعتين من التصانيف حفظت لنا اسم ابي الخطاب وعقائده وفيها اشارة وافية الى الدور الحاسم الذي اضطلع به : أولاهما « أم الكتاب » الشهيرةوهي عبارة عن كتاب سري مقدس عند الاسماعيليين في آسيا الوسطى يمثل ، كما يشير العلامة الذي أشرف على طبعه ، مرحلة قديمة جدا لتطور افكار الشيعة الثورية • وهذا الكتاب يجعل لابي الخطاب مقاما خطيرا في هذه الحركة فيعتبره مؤسس المذهب ويقرنه بسلمان في عظيم اهميته • وعبارته في ذلك واضحة صريحة اذ يقول : « ان المذهب الاسماعيلي هو ما اوجدته ذرية

(١) ايفانوف Guide, 32 Notes sur L'ummu'l - Kitab , 430
لم أستطع الرجوع الى أي مخطوطة لهذا الكتاب •

(٢) MS. S. O. S. Library, 25735, P. 31 b ff ويذكر القاضي نعمان عقائد ابي الخطاب باختصار ادعاءه النبوة ، تأليهه لجعفر ، الاباحة) وتبرؤ جعفر منه • ويجري بحثه عن المغيرة وعن غيره من المارقين مجرى المصادر السنية •

ابي الخطاب (اتباعه ؟) الذين شروا أنفسهم بحب احفاد جعفر الصادق (و) اسماعيل · (١)

وثانيتهما كتابات النصيرية التي درسها ماسينيون · وفيها فقرات وعقائد شبيهة بتلك · وهي ايضا تعتبر أبا الخطاب مؤسس الفرقة وميمونا القداح تابعا له · وتعزو اليه اكثر العقائد التي يختص بها المذهب الاسماعيلي · (٢) ·

يبدو ان تكذيب جعفر لابي الخطاب وما لقيه ابو الخطاب من مصرع أليم احدثا كثيرا من الفزع والهياج · ويروي الكشي ومصنفون آخرون من الشيعة الاثني عشرية أخبارا كثيرة تشرح هذا التكذيب وتبرره · ونذكر فيما يلي أمثلة تستحق الانتباه بوجه خاص :

ـ قال عبد الله الرجاني : « ذكرت أبا الخطاب ومقتله عند جعفر الصادق فرققت عند ذلك فبكيت فقال : أتأسى عليهم ؟ ·· فقلت : لا · وقد سمعته يذكر ان عليا عليه السلام قتل اصحاب النهر (٣) فأصبح اصحاب علي عليه السلام يبكون عليهم فقال علي عليه السلام : اتاسون عليهم ؟ قالوا : لا انا ذكرنا الالفة التي كنا عليها والبلية التي اوقعتهم فلذلك رققنا عليهم ، قال لا بأس (٤) ·

ـ قال عيسى بن شلقان (٥) : قلت لابي الحسن وهو يومئذ

---

(١) النص ٩٧ ، الملاحظات ٤٢٨ ·

(٢) ماسينيون : سلمان ، ومقاله عن النصيريين في دائرة المعارف الاسلامية ·

(٣) ربما أهل النهروان ، أي الخوارج ·

(٤) الكشي ١٨٩ ·

(٥) كان عيسى بن أبي منصور شلقان من أتباع جعفر ، وكان يعتمد عليه كثيرا (الكشي ٢١١) ·

غلام قبل اوان بلوغه : جعلت فداك ما هـــذا الذي يسمع من ابيك (جعفر) ؟ انه امرنا بولاية ابي الخطاب ثم امرنـا بالبراءة منه · فقال ابو الحسن من تلقاء نفسه : (ان الله خلق الانبياء على النبوة فلا يكونون الا انبياء · وخلق المؤمنين على الايمان فلا يكونون الا مؤمنين واستودع قوما ايمانا فان شاء اتمه وان شاء سلبهم اياه ، وان ابا الخطاب كان ممن اعاره الله الايمـان فلما كذب على ابي سلبه الله الايمـــان · فعرضت هذا الكـــلام على جعفر فقال : لو سألتنا عن ذلك ما كـــان ليكون عندنـــا غير ما قـال (١) ، أي استحسنه ورضي به حكما ·

ـ وقال قاسم الصيرفي : « سمعت جعفرا يقول : قوم يزعمون اني لهم امام · والله ما انا لهم بامام · ما لهم لعنهـــم الله كلما سترت سترا هتكوه هتك الله ستورهم · أقول كـــذا يقولون انما يعني كذا · أنا امام من اطاعني (٢) ·»

وتتفق جميع مصادر الشيعة الاثني عشرية وغالبية المصـادر السنية في رواية تبرؤ جعفر من ابي الخطاب (٣) · ويظهر منهـا ان خلافات خطيرة وقعت بين الرجلين من حيث العقيدة · أن خلـع جعفر لاسماعيل بعدئذ ، والاتصال الوثيـــق بين احفاد اسماعيـل واتباع ابي الخطاب ، ثم الانشقاق الجوهري في العقيدة بين اتباع اسماعيل واتباع موسى الكاظم امام الشيعة الاثني عشرية السابع ـ ان كل ذلك يشير الى نتيجة واحدة ويسوغ ان نضع اسماعيـــل

(١) ١٩١ · لقد لعب التفريق بين المستودع والمستقر دورا هاما في عقائد الاسماعيلية المتأخرة ، (أنظر كلام بير ٧٨) ·

(٢) الكشي ١٩٤ · لهذا الانفجار في الغضب والادراء نصيب من الصحة ·

(٣) ممن لا يتفق معهم ابن حزم ، أنظر فريد ليندر ١/٦٩ ·

نفسه بين الثائرين على سلطة جعفر وزعامته (١) ·

٢ ـ استقرار الامامة في ذرية اسماعيل :

وهذا يؤدي بنا الى مسالة اخـــرى عسيرة وهي : ماذا كان نصيب اسماعيل نفسه من كل هــذه الاعمـــال ؟ ان معلوماتنا عن اسماعيـــل لسوء الحظ ، نزرة محدودة جــداً ، فهو في المصادر الاسماعيلية الامام ذو المنزلة التـــي توشك ان تجعلـــه الها ومن ارباب الاطلاق (ازوار باب اطلاق (٢)) وبرفعه الى هذه المكـانة السامية اصبح كل خبر عنه ذا قيمة تاريخيـــة ضئيلة · وهناك ، زيادة على ما سبق ، تناقض كبير بين المصادر الاسماعيليـة نفسها قد يكون سببه تفاوتها في مراتب السر والكتمان · فنحـن نقرأ في كتاب (كلام بير (٣)) : « خلف موسى الكاظم جعفـرا كمـا خلف الامام الحسين الامام عليا ولم يكن لموسى حـــق نقل النص · ثـم خلفه اسماعيل وكان ربا مطلقا ··· ومنذ عـــرف اسماعيل بأن الامامة ستستقر في ذريته وافق على نص موسى الكاظم فلم يحدث بينهما خلاف» · ولا يخفى ان هذه الرواية تناقض الكتابات الاخرى العديدة في :

(١) ان اسماعيل مات في حياة ابيه جعفر ·

(٢) ان موسى الكاظم لم يكن اماما عنـد الاسماعيليـين (٤)

---

(١) من الباحثين المحدثين الذين يعدون أبا الخطاب من المؤسسين الاولين للاسماعيلية ماسينيون (مقالة عن القرامطـة والنصيريين في دائـرة المعارف الاسلامية وفريد ليندر (ابن حزم ١٠٦/٢) ·

(٢) كلام بير ٧٥ ·

(٣) ٧٥ ·

(٤) الفلك الدوار ١٢٥ ـ تقسيم العلوم (مخطوطة برزيـة) ورقة ١١٧ ف . Fyzec , List, P. 8.

وتعتبر المصـــادر السنية والاثنـــا عشرية اسماعيل شريرا لا يستأهل شرف الانتساب الى ابيه ، ويظهر ان مصادر الاثني عشرية خاصة قد اوجزت الكلام في أخباره واتبعت المثـــل القائل « خير الكلام ما قل ودل » · والامران التاليان هما كل ما يمكن جمعه من هذه المصادر على وجه التقريب :

(١) ان اسماعيل مات في حياة ابيه ·

(٢) ان جعفرا نزع عن اسماعيل حق الامامة بسبب اخلاقه الذميمة ·

وتقتصر غالبية المصادر على ذكر هذين الامرين من غير تعليق او تعقيب · ويضيف جويني (١) ان وفاة اسماعيل كانت ســـنة ١٤٥ هـ · ويقول كتاب شيعي (٢) انها وقعـــت سنة ١٣٨ هـ · ويقول رشيد الدين (٣) وجويني (٤) بأن جعفرا امر بعرض جثة اسماعيل للملأ ، وشهدها قـــوم كثيـــرون وتحققوا من وفاته · وقد يكون ذلك منه احباطا لنسج الاساطير والخرافات حولـــه · ولكن هذه التدابير اخفقت · وينسب رشيد الديـــن (٥) وجـــويني (٦) للاسماعيليين القول بأن اسماعيل لم يمت وانه عاش بعد ابيه سنين وانه اتى بمعجزات كثيرة · ويؤكد هذا الزعم كتـــــاب دستـــور المنجمين (٧) الفاطمي النزعة فيعتبر اسماعيل اول امام مستور · وكان بدء ستره في سنة ١٤٥ هـ · ولم يمت الا بعد سبع سنين ·

---

(١) ١٤٦ ·
(٢) عمدة الطالب ٢٢٣ · مقتبسة في كتاب ايفانوف : Ismailitica
(٣) Levi, 521
(٤) ١٤٦ ·
(٥) ٥٢١ ·
(٦) ١٤٦ ·
(٧) بلوشيه ٥٧ ـ ٥٨ ـ دو خويه ٢٠٢ ·

والرأي السائد في سبب براءة جعفر من اسماعيل وعزله اياه ادمانه السكر (١) . على ان في المصادر التي بين ايدينا عبارتين تدلان فيما يظهر على ان لهذا التبدل عللا واسبابا اهم من ذلك .

اولاهمــا وردت في الكشي (٢) وماسينيــون (٣) اول مــن اظهر اهميتها . ونصها :

قال عنبسة : « كنت مـع جعفـر بن محمد ببـاب الخليفة ابي جعفر المنصور بالحيرة حين أُتي ببسام (٤) واسماعيل بن جعفـر بن محمد ، فأدخلا على ابي جعفر ، فأخرج بسام مقتولا ، وأخـرج اسماعيل بن جعفر بن محمد ، فرفـع جعفـر رأسـه اليه وقـال : افعلتها يا فاسق ؟ ابشر بالنار .. » .

ويبدو من هذا ان بساما واسماعيل قد اجتمعا على عمل مـن اعمال التمرد استاء منه جعفر واستقبحه . وهذا يشرح ما ورد في العبارة الثانية التي ينسبها جويني الى جعفر ، وهي كلام في غير محله حقا اذا كان ذنب اسماعيل هو ادمانه السكر فقط . قال جعفر « اسماعيل ليس مني ولكنه شيطان في صورة انسان (٥) » .

وقــد ذهب ماسينيون في هذا الصدد ، الى ان الكنية (ابو اسماعيل) التي يضفيها الكشي (٦) على ابن الخطاب انما تشيـر الى اسماعيل بن جعفر وان ابا الخطـــاب كان المتبني لاسماعيل والاب الروحاني له (٧) .

---

(١) Levi , 519 ـ جويني ١٤٥ ـ الطبري ٣/٧٥٤ و ٢٥٠٩ .
(٢) ١٥٩ وكذلك في منهاج المقال ٥٦ .
(٣) تخطيط الكوفة ٣٥٠ ـ ٣٥١ .
(٤) صراف الكوفة ، ميوله شيعية . ميزان الاعتدال ١/١٤٤ .
(٥) جويني ١٤٥ .
(٦) ١٨٧ و ٢٠٨ .
(٧) ماسينيون : سلمان ١٩ .

ويذكر الكشي (١) في كلامه على المفضل بـن عمـر الجعفي اخبارا تنبيء على ما يظهر بصلة وثيقة بين اسماعيل والخطابيين ، وتبين حنق جعفر على اولئك الذين اضلوا ولده وزجوه في المروق والاخطـار · قـال جعفـر للمفضل بن عمـر : « ياكافر يـا مشرك مالك ولابني (٢) ؟ » · ثم قال : «ما تريد الى ابني ؟ تريـد ان تقتله ؟ (٣) » ·

من هذا كله نستطيع ان نستنتج مؤيدات قوية للفرضية القائلة بأن اسماعيل كان ذا صلة وثيقة بالاوساط المتطرفة والثورية التي أوجدت الفرقة المسماة باسمه · وبأن عزل جعفر له كان لهذه الصلة ويعزز هذا ـ كما سنرى ـ العلاقة القوية بين محمد بن اسماعيـل وريثه وميمـون القداح وابنـه عبد اللـه ـ تابعي ابي الخطـاب المغاليين وحوارييه ·

ويمكننا الان ان نعود فنستعرض مجرى الحوادث عند وفـاة جعفر · لان الانشقاق بين فرعي الحركة الشيعية قد حدث حينذاك: وتقف غالبية مصادرنا عند القول بأن جماعة تبعت موسى الكاظم ، وصدقت اخرى ادعاءات اسماعيل وابنه محمد · وسنغفل ـ تيسيرا

---

(١) ٢٠٦ ـ ٢١١ · كان المفضل صرافا في الكوفة ، وكان من أتباع جعفر البارزين ، ناصر أبا الخطاب ثم وجد فرقة صغيرة باسمه بعد قتل ابي الخطاب · وكان ، رغم طـرد جعفر ايـاه ، يدعو الى امامـة ابنه اسماعيل من بعده · ثم عاد الى الشيعة الاثني عشرية وصالح جعفرا وخدمه وخدم موسى الكاظم · انظر كذلـك (البغدادي ٢٣٦ ، الترجمة ٦٥ · والشهرستانـي ١٣٧ ، الترجمـة ٢٠٧ · والاشـعري ١/١٣ والطوسي : الفهرست ٢٣٧ · ومنهـاج المقـال ٣٤١ وايفانـوف : Guide , P. 30 وهو يذكر خطأ قتل المفضل مع ابي الخطاب)·

(٢) الكشي ٢٠٦ ·

(٣) الكشي ٢٠٧ ·

للبحث ـ الفرق الصغرى التي اتبعت ابناء اخرين لجعفر الصادق لقلة اهميتها وقصر عمرها ٠

على ان بعض المصادر تزودنا بمعلومـــات افضل واوسع ، فعلينا ان نلقي عليها نظرة فاحصة ٠

يقسم النوبختي (١) اولئك الذين قالـــوا بامامة اسماعيل بعد وفاة ابيه الى فرقتين :

١ ـ فرقة انكرت موت اسماعيل في حيـاة ابيه وقالوا كـان ذلك من جهة التلبيس من ابيه على الناس لانه خـاف فغيبه عنهم ٠ وزعموا ان اسماعيل هـو القائـم وانه لم يمـــت ولكنه في الغيبة وسيرجع ٠ وهذه الفرقة هي الاسماعيلية الخالصة ٠

٢ ـ فرقة زعمت ان الامـام بعد جعفر بن محمد هو محمد بن اسماعيل ٠ وقالوا ان الامر كان لاسماعيل في حياة ابيه فلما توفى قبل ابيه جعل جعفر بن محمد الامر لمحمد بن اسماعيل وكان الحق له ولا يجوز غير ذلك لان الامامه لا تنتقل من اخ الى اخ بعد الحسن والحسين ولا تـــكون الا في الاعقـــاب ٠ واصحاب هذا القول يسمون « المباركة » برئيس لهم كـان يسمى « المبـــارك » مـولى اسماعيل ابن جعفر ٠ وقد دخل فيهم اتبـــاع ابي الخطـاب ، ثم افترقوا فرقا عدة منها فرقة القرامطة ٠ وقد سميت برئيس لهـا من اهل السواد من الانباط كان يلقب « قرمطوية » ٠ قـــالوا ان روح جعفر حلت في ابن الخطاب ثم انتقلت الى محمد بن اسماعيل ثـم ساقوا الامامة في ولد محمد بن اسماعيل ٠ وقد انشأوا نظاما خاصا بهم زعموا فيه ان محمد بن اسماعيل حي لم يمت ولا يمـــوت وهو القائم والمهدي وخاتم النبيين ٠ ويذكـــر النوبختي بعض التفاصيل

---

(١) ٥٧ وما بعدها ٠

عن مذهبهم ويقول ان عددهم بلغ في ايامـــه مئة الف نفر ، وهم بسواد الكوفة واليمن اقوى شوكة واصلب عودا ·

ويذكر المجلسي (١) نقلا عن رواية قديمة ثلاث فرق وهي :

١ ـ فرقة قالت ان اسماعيل هو القائم المنتظر وان وفاتــه كانت خدعة ·

٢ ـ وفرقة قالت بوفاته في حياة ابيه بعد ان فوض الامــر لابنه محمد فخلفه بالامامة · وهؤلاء هم « القرامطة وهم المباركة » وسمى القرامطة برئيس لهم من أهل السواد يدعى « قرمطويــه » · اما المباركية فبرجل يدعى المبارك مولى اسماعيل · (والقرامطــة اخلاف المباركية · والمباركية سلفهم) ·

٣ ـ وفرقة قالت ان جعفرا نفسه قد عقد الامامة لمحمد ونص بها له ، وهذه الفرق الثلاث هي الاسماعيلية ·

ويقول المتوكــل الامــام الزيدي كما رأينــا بأن الاسماعيلية تتكون من الخطابية والمباركية ·

ويمكننا ان نوفق بين هذه الروايات الثلاث بلا كبير عنـــاء ونؤلف منها رواية واحدة منسجمة الاجزاء · فمن الواضح الجلي أنهم ينسبون الى المبارك دورا خطيرا في هذه الحركة ، فاليه يعزى تنظيم الفرقة التي التفت حول محمد بن اسماعيل وضمت اليهـــا القسم الاكبر (٢) من الخطابية والفرق الاسماعيلية المخالفة فأوجدت

---

(١) بحار الانوار ٩/١٧٥ ·

(٢) من الواضح انها لم تضم اليها جميع الخطابية فقد بقي قسم منها يؤلف فرقة متميزة ، ظل يرد اسم جماعات من الخطابية حتى عهد متأخر جدا (مثلا مطهر بن طاهــر · أنظر ص ١٣٧) ومن بعضهـــا نشأت الفرقة النصيرية ·

منها الدعوة الاسماعيلية الموحدة التي نشأت عنها التطورات العظيمة ذات القيمة التاريخية الهامة · ولسوء الحظ ان ما نعرفه عن المبارك هذا نزر قليل · ونستطيع ان نضيف شيئا قليلا من المصادر السنية الى الرواية السابقة التي ألفناها من المصادر الشيعية الاثني عشرية والزيدية فحسب ·

كان المبارك على ما ورد « في سياسة نامة » (١) حجازيا وكان خادما لمحمد بن اسماعيل ، وكان يجيد نوعا من الخط يسمى (مقرمط) ولذلك عرف باسم (قرمطويه) · وقد أغراه عبد الله بن ميمون القداح فانشأ فرقة ونشراها وهي الفرقة التي عرفت بالمباركية أو القرمطية نسبة الى اسميه ·

واني لاعتقد بوجوب رفض هذا الزعم الذي يرى المبارك وقرمطوية شخصا واحدا للبينات والدلائل القديمة الموثوق بها التي تنافيه ·

يذكر الاشعري (٢) والبغدادي (٣) والشهرستاني (٤) والمقريزي (٥) جميعهم المبارك ويؤيدون مصادرنا الشيعية غالبا ·

واذا تذكرنا ما للمبارك من منزلة وخطورة فان ما في المصادر الاسماعلية من أخباره قليل يدعو الى العجب · والذكر الوحيد الذي استطعت أن أجده هو ما أورده « دستور المنجمين » حيث يقول عنه بأنه مولى محمد بن اسماعيل فوضه اسماعيل بالامامة (٦) ومن المحتمل انه كان معروفا في الاوساط الاسماعيلية بأسم آخر ·

---

(١) ١٨٣ ، الترجمة ٢٦٩ ·
(٢) ٢٧ ·
(٣) ٤٧ ·
(٤) ١٦ ، ١٢٨ الترجمة ٢٤ ، ١٩٣ ·
(٥) الخطط ٢/٣٥١ ·
(٦) بلوشيه ٥٨ ـ دو خويه ٢٠٢ ·

٣ ـ (استنباط اصول الاسماعيلية)

ونستطيع الآن ان نستنبط مجمل اصول الاسماعيلية على ضوء ما درسناه من وثائق ٠

انشأ ابو الخطاب واسماعيل ـ متعاونين على ما يحتمل ـ نظام عقيدة صارت اساسا للمذهب الاسماعيلي فيما بعد ٠ وسعيا كذلك الى خلق فرقة شيعية ثورية لتجمع كل الفرق الشيعية الصغرى على امامة اسماعيل وزريته ٠ ثم افترقت بعد وفاة ابي الخطاب واسماعيل وجعفر فرقا كثيرة ذات افكار متضاربة ورؤساء

متخاصمين٠ثم التفت هذه الفرق حول محمد بن اسماعيل واستطاع هذا أن يؤلف منها ـ بفضل مؤازرين مخلصين ، لا سيما المبارك وعبد الله بن ميمون القداح ـ حركة واحدة جلهـا من اتباع اسماعيل وفيهم القسم الاكبر من الخطابية الذين اقتبست عقائدهم بشيء من التحوير (١) ٠ ونشأت حول محمد بن اسماعيل الحركة الاسماعيلية المعروفة في التاريخ (٢) ٠

د ـ الائمة : المستقرون والمستودعون

قبل ان نتقدم للبحث في أنساب الأئمة المستورين وشرعية ادعاءات الفاطميين في أنسابهم ، نرى لزاما علينا ان نستطرد لدرس أعتقادين تختص بهما الباطنية ، لهما علاقة مباشرة في ما نحن بصدده ٠

١ ٠ الابوة الروحانية والنبوة الامامية

١ ـ الاعتقاد في الابوة الروحانية ، أو النكاح الروحاني ، كما يصطلح عليها وعليه في اللغة العربية احيانا ٠ ان الحركة الباطنية ، بما لها من ميول غنوصية Gnostique قوية وبتعويلها الشديد على النواحي الباطنية للاشياء دون المادية الظاهرية منها ، بلغت بسهولة ، وبشكل طبيعي جدا اعتبرت فيه العلاقة بين الاب وابنه ـ وهي التي تتصل بالبدن التافه الزائل وحده ـ اقل اهمية وحقيقة من **العلاقة الروحانية بين المعلم والتلميذ**، المنبعثة من النفس الخالدة ٠ وينتج عن هذه العقيدة ان التلميذ

---

(١) المسائل المتعلقة بتطور العقيدة وتبدلها ليس من موضوع كتابنا ٠ وتجد بحثها في مقال ماسينيون عن القرامطة في دائرة المعارف الاسلامية ٠

(٢) سنبحث عن ميمون ، وعبد الله بن ميمون ، ومحمد بن اسماعيل ، والفرقة القرمطية في الفصول التالية ٠

احرى بان يكون الابن والوارث الحقيقي ، من النسل الطبيعي للانسان • حتى لقد ارتأى بعضهم ان كلمتي (أب) و (ابن) في الاعلام الاسماعيلية انما استعملتا بهذا المعنى أحيانا (١) •

وأكثر الكتب ايضاحا وتعبيرا لهذه العقيدة هي رسائل اخوان الصفا ، وهي كتاب لم يبق شك في روحه الباطنية ••

وفي هذه الرسائل نقرأ (٢) « اعلم ان المعلم والاستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها وعلة حياتها • كما أن والدك أب لجسدك وكان سببا لوجوده : وذلك أن والدك أعطاك صورة جسدانية ومعلمك اعطاك صورة روحانية ، وذلك أن المعلم يغذي نفسك بالعلوم ويربيها بالمعارف ويهديها طريق اللذة والسرور والراحة السرمدية كما أن أباك كان سببا لكون جسدك في دار الدنيا ومربيك ومرشدك الى طلب المعاش ••

« ولا (٢) ينبغي (للمعلم) أن يمن عليه (على التلميذ) بما ينفق عليه من المال ولا يستحقره ويعلم ان الذي حرم أخاه هو الذي اعطاه • وكما انه لا يمن على ابن له جسداني فيما يربيه وينفقه عليه من ماله ويورثه ما جمعه من المال بعد وفاته ، كذلك لا يجب أن يمن على ابنه النفساني لانه كان ذلك ابنه الجسداني فهذا ابنه النفساني • كما روى أن النبي (ص) قال لعلي (ع) : انا وأنت ابوا هذه الامة (٢) وقال (ص) : المؤمن أخو المؤمن من أبيه وامه (٣) وقال ابراهيم (ع) : فمن تبعني فانه مني (٤) اي من

---

(١) ماسينيون سلمان ١٦ ـ ١٩ ، والمتنبي ٦ •
(٢) طبعة القاهرة ٤/١١٣ •
(٣) ٤/١١٥ ـ ١١٦ •
(٤) لم استطع ان احقق هذا الحديث •
(٥) (ابو داود) السنن ، باب الادب ٤٩ •
(٦) القرآن : سورة ١٤ ، آية ٣٩ •

ذريتي ، وقال عز وجل لنوح (ع) حيث قال (ان ابني من اهلي) : انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح (٢) » وقال تعالى : فــاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (٢) · وبيّـن أن النسب الجسداني لا ينفع في الآخرة ·

ولهذا المعنى قـال المسيح **للحواريين** · جئت مـن عند أبـي وأبيكم (١) · وقال الله تعالى : « ملة ابيكم ابراهيم (٢) فــهذه **الابوة نفسانية لا ينقطع نسبها** كما قال النبي (ص) : (كل نســب ينقطع الا نسبي) وقال : (يا بني هاشم لا يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ! فاني لا أغني عنكم من الله شيئا (٣)· انما أراد النسبة الجسدانية لانها تنقطع اذا اضمحلت الاجســام وبقيت النسبة النفسانية ·

وتوجد مثل هذه الافكار في كتب اسماعيلية مختلفة ،فنصير الدين الطوسي (٤) يقول : **ذرية الامام على اربعة انواع ، روحانية** او « در معنى » مثل سلمان الفارسي (٥) **وجسمانية** او بالشكـل

....

(١) القرآن : سورة ١١ ، آية ٤٧ ـ ٤٩ ·

(٢) القرآن : سورة ٢٣ ، آية ١٠٣ ·

(٣) نصه ايضا في : ويسنده آسن بالافيوس الى يوحنا في خطبة العشاء الرباني الاخير ، أنظر :
Logia and Agrapha , 127

(٤) القرآن : سورة ٢٢ آية ٧٧ ·

(٥) وفي الطبري ١/٢٧٥١ ، قول شبيه به ينسبه الى عمر ·

(٦) ايفانوف : An Ismialitic Work, 555 Ismailitica, 15
عبارة مثل هذه ·

(٧) ان تبني الرسول لسلمـان ـ « سلمـان من اهل البيت » ـ هو اساس العقيدة ومفتاحها · واذا شئت بحثا مشبعا فانظر ماسينيون : سلمان ٦٦ ـ ١٩ وماسينيون في كتابة هذا وفي مقاله عن القرامطة في دائـرة المعارف الاسلامية اول من نبه الى هذه العقيدة ·

مثل المستعلي ، وروحانية وجسمانية معا مثل الحسن امام الشيعة الثاني وجسمانية وروحانية « ودر حقيقة » مثل الامام الحسين • والواضح أن النوع الاول يسوغ تبني شخص ليس من سلالة علي دما ، فيكون علويا فخريا أو وارثا حقيقيا •

٢ ـ اصول السلالة الفاطمية

ومن العجيب ان الكتاب السنة وغالبية الباحثين الاوربيين قد فاتهم أن يلاحظوا هذه العقيدة وصلتها بمسالة اصول الفاطميين ولم يفطن لقدرها وأهميتها من غير الاسماعليين الذين كتبوا عن الاسماعيلية سوى اثنين أحدهما اثنا عشري والآخر سني • قال صاحب تبصرة العوام (١) :

« انهم (الاسماعيليين) يقولون ان المسيح كان ابن يوسف النجار وان قول القرآن بأن للمسيح أب انما أراد ليس له أب تعليمي » اي معلم (٢) •

وقال رشيد الدين المؤرخ الفارسي (٣) الكبير : « ارسل جعفر الصادق حفيده محمد بن اسماعيل في صحبة ابي شاكر ميمون الديصاني المعروف بميمون القداح ، الى طبرستان : وبعد وفاة جعفر الصادق اودع ميمون القداح ولده عبد الله الى محمد بن اسماعيل قائلا : ان الابوة الجسمانية تكون من ولادة الطفل المادية ليس غير ، بينما تكون الابوة الروحانية من ملازمة شخص لاخر معين ، فتقول ان فلانا ابن فلان لانه تخرج عليه ، افلا يكون

---

(١) طبعة طهران ١٨١ وقراءة شفر Chrest pers 1, 180 أقل اقناعا •

(٢) من ذلك قوله « ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون • ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه » •

(٣) اوشيه ٨٩ ـ Polemics, 78

الذي يتلقى العلم والمعرفة اللتين هما جوهر الحياة الروحانية من رجل اخر هو ابنه الحقيقي ؟ فأنا مثلا انجبني بن محمد بن اسماعيل روحانيا ثم اصبحت بما كشف لي من اسرار العلم اهلا لان انتسب اليه وان اعتبر نفسي ابنه ، والخلاصة فانه انهى كلامه بقوله : عبد الله هو ابن محمد بن اسماعيل ووارثه الذي لا يتقدم عليه احد · وقد اودعه اياي لانشئه واعصمه من مكائد اعدائه ، ولما بلغ عبد الله السابعة عشرة من العمر نادى ميمون القداح بامامته ولم يعترض الشيعة على ذلك » ·

وتوضح هذه العبارة استخدام الاسماعيليين لهذه العقيدة في اغراضهم العملية وتكشف عن اهميتها في انشاء السلالة الفاطمية · وتوجد هذه العقيدة أيضا بين الفرق ذات العلاقة بالاسماعيلية كالنصيريين والدروز · وقد طرأ عليها عند النصيريين خاصة تطور واسع · ويذكر داسو Dassoud الذي يعتقد ان النصيريين قد اقتبسوا هذه العقيدة من الاسماعيليين ، التفصيلات الهامة التالية (١) : « لا يستطيع أب أن ينشىء ابنه او احد اقاربه ، ان التنشيء يخلق بين المنشىء والمنشأ صلة روحانية شبيهة بالصلة النسبية والمنشأ يصبح ابن منشئه حتى انه لا يجوز ان يتزوج من بناته لانه يصبح اخا لهن » ·

ثم يفصل داسو مراسيم التنشيء التي يختتمها الامام بخطبة يقارن فيها مقارنة مضطربة بعض الشيء ، بين الجماع والحمل والولادة من جهة ، والتربية والتنشيء من جهة اخرى ، وعلى هذا فان درجات التنشيء الثلاث تناظر ادوار الجنين وتعين اوقاتها بحسب ذلك · وهذه الفكرة موجودة عند الاسماعيلية في سورية كذلك (٢) ·

(١) Histoire et Religion des Nusairis, 105 ff .

(٢) كويارد : Fragments, 210 · وقد واتتنى الفرص السارة فشهدت اثناء زيارتي لقرية مصيف الاسماعيلية في سورية الوسطى عرضا طويلا للنكاح الروحاني قام به امام الجماعة ·

وتوجد هذه الفكرة بين الدروز (١) ايضا · فحمزة يذكر في رسالته المسماة باسيرة المستقيمة بشأن القرامطة (٢) بأن استخلاف الائمة والحجج يعتمد ابدا على الابوة الروحانية وليس على الابوة الجسمانية وعلى هذا فان لادم المعروف بأدم صفا (أول الأوادم الثلاثة في عالم الدروز) أبا وأما ·

« وقد قيل انه لا اب ولا ام لانه كان اماما في حقه » · اي لم يفوضه سلف ·

اما صلة آدم الثالث بالثاني فقد وصفت بما يلي :

« وكان ابنا دينيا وليس جسمانيا (٣) » ·

ويذهب الدروز الى حد يرفضون فيه المعنى الحرفي للعبارة القائلة ان ليس لآدم ابوان · ويعتبرونه غير معقول (٥) ·

وبهذه الطريقة نفسها يوضح الكتاب السري الاسماعيلي وهو الايضاح والبيان (القرن الثالث عشر للهجرة) بأن جنة عدن تعني الدعوة ، وان اخراج آدم يعني تدهوره الى دركة احط وان ذريته هم حواريون ليس غير (٥) ·

---

(١) دو ساسي ٢/٥٧٨ ·

(٢) ورقة ٧٤ وما بعدها ـ أنظر دو ساسي : Expose 11, 112 FF.

(٣) ورقة ٧٩ ف ·

(٤) ورقة ٧٤ ف · ولا يزال الاسماعيليون في الهند يتناقلون حديثا منسوبا للامام علي يقول يوجد بشر قبل أدم · ولهذه العقائد صدى قوي في لزوميات أبي العلاء المعري ·

(٥) لويس : Ismaili Interpretation, 694 · لا وجود لهذا التفسير في كتاب كلام-بير : وهو كتاب اسماعيلي متأخر ، وتذكر فيه قصة أدم على نمط أقرب ما يكون الى نمط المسلمين السنة ، كما أن أدم والانبياء الاخرين قد جاءت فيه أيضا بالمعنى الحرفي والجسماني بتأكيد كبير · ولكن نظرا لبينات اخرى لا نستطيع ان نشك بأن كتاب الايضاح والبيان يمثل مرحلة قديمة من مراحل تطور العقيدة الاسماعيلية ·

ولكن الى اي مدى يتأثر الاستخلاف في الامامة بالتبني ؟ اجازت الاستخـــلاف بعض الفرق الشيعيـــة التي نشأت قبل الاسماعيلية بالتفويض أو التعيين ، فجعل بعضها سلمان اماما . ورفعت فرق شيعية أخرى سلالة كاملـــة من المدعين الى درجة الامامة بمجرد دعوى التفويض من قبل اسلاف علويين .

ومن هنا كانت ادعاءات ابي منصور والمغيرة وبيـــان بن سمعان وأول العباسيين الذي ادعى ان ابا هاشم بن محمـــد بن الحنيفة فوض اليه الامامة وعينه لها (١) .

ويظهر من العبارة التي اقتبسناها من نصير الدين الطـوسي ان بين الاسماعيليين من يرى جـــواز التفويض لابنـــاء الائمة الروحانييـــن وهـــذا يعيننا على تفسير العبارة الواردة في كتب الدروز (٢) التي تذكر الائمة المستورين بين اسماعيل وعبد اللـــه المهدي ، وتعلق على بعضهمانهم « مـــن ولـــد القـــداح » . ومن هنا يتضح لنا أن **استخلاف الامامة استخلاف روحاني** ، وأنكلمـــة **ابن لا تعني غير تلميذ** . امـــا عبـــارة « من ولد القداح » فقـــد اضيفت الى ذرية ميمون القداح لتبين نسبهم الجسماني ، وهـــو أمر ذو اهمية ثانوية . ومثل هذا التفسير يتفق وما اقتبسناه من رشيد الدين الطوسي وقد اخذ به ماسينيون . وهو الحجـــة الثبت فجعل عبد الله بن ميمون هو المتبني او الابن الروحاني لمحمد بن اسماعيل ولذلك يكون السلف الجسماني لسلالة الخلفاء الفاطميين جميعا اخلاف عبد الله بن ميمون نسبا (٣) .

....

(١) أنظر مواضع متفرقة من الفصل الاول .

(٢) مخطوط في باريس رقم ١٤١٠ ، ورقة ١١٨ ــ ١١٩ ــ أنظر دو ساسي : Exposé II , 570.

(٣) مقالة عن القرامطة في دائرة المعارف الاسلامية .

ويرتضي ماموز (١) ايضا بما قال رشيد الدين ويجتهد لأن يبرر الحق العلوي الشرعي للفاطميين يجعله ميمون القداح هو محمد بن اسماعيل · غير ان ميمونا قد صح وجوده تاريخيا في المصادر الشيعية بل وفي الاسماعيلية منها ايضا ، وهذا مما يخذل رأيه ويفنده ·

بيد ان بعض الصعاب تعترضنا في قبول نظرية ماسينيون فلو وافقنا على ان ابن القداح قد خلف محمد بن اسماعيل بالتبني الروحاني فهل من الضروري ان يكون كل من خلفه من الائمة « من ولد القداح ؟؟ » ان عبارة « من ولد القداح » انما اضيفت في قائمة الدروز لبعض الائمة المستورين لا اليهم كلهم · وصحيح ان سعيدا وهو عبيد الله المهدي اول الخلفاء الفاطميين كان من بين من اطلقت عليهم هذه العبارة ، الا انه لم يثبت بعد ، ان سائر الخلفاء الفاطميين كانوا من ذريته الجسمانية ·

٣ ـ المستقرون والمستودعون

٢ ـ وربما تزيد مسألتنا اتضاحا بتمحيص وجه آخر للعقيدة الاسماعيلية في الامامة الا وهو التفريق بين الامام المستودع والامام المستقر ·

يقول كلام بير (٢) : « الامام المستودع هو ابن الامام واكبر ابنائه ، ان كان له كثيرون ، والعارف بأسرار الامامة كلها واعظم أهل زمانه ما دام قائما بالامر · الا انه لا حق له في تفويض الامامة الى ذريته الذين يكونون سادة ولا يكونون ائمة

---

(١) Polemics, 78 ff

(٢) ٧٥ ـ الهمداني · بعض المؤلفين الاسماعيليين المجهولين ٣٦١ ·

أبدا . أما الامام المستقر فهو يتمتع بامتيازات الامامة كلها ، وله الحق في ان يفوضها لاخلافه ، .

ان عقيدة الامام المستودع وهو الذي تكون الامامة عنده وديعة ، معروفة بين الفرق الغالية قبل الاسماعيلية . وقد بين الاستاذ تريتون (١) (A. S. Tritton) حالات عدة لها عندهم . وعلى هذا فالتفريق الاسماعيلي بين المستودع والمستقر ان هو الا تنظيم لمبدأ مقرر .

ومما يتصل اتصالا قريبا بعقيدة الامام المستودع ما يصح ان نطلق عليه عقيدة الامام الحفيظ في اثناء الظروف الخطيرة (٢) اذ ينتحل بموجبها بعض الدعاة القاب الامام ووظائفه أو يظل الامام الحق مستورا ليدبروا الحركات ويخبروا اتجاه الرأي العام دون ان يتعرض الامام المستقر لخطر . ومن هذا ما نقرأ في كتب اسماعيلية (٣) عدة بأن الامام احمد - الذي ينسب له تأليف رسائل اخوان الصفا - اذن للداعي الترمذي ان يظهر بين الناس اماما ويتقبل الموت بهذه الصفة ، وذلك للتأكد مما اذا كانت الظروف ملائمة لاظهار امره .

ولعلنا لا نكون متسرعين في الحكم اذ زعمنا ان ابناء الائمة الروحانيين ، ولا سيما القداحيين منهم قد مثلوا دور الامام المستودع أو الامام الحفيظ . وعلى هذا فالاسماء التي جاءت قائمة الدروز معلمة ب «من ولد القداح» انما تشير الى الائمة المستودعين ، وسائرها هم الائمة المستقرون في قائمة المستقرون.

---

(١) Miscellany 925

(٢) ملاحظاتي عن هذه العقيدة مستندة الى احاديث شفوية مع اسماعيلي هندي مثقف

(٣) الهمداني : الرسائل ، مجلة الاسلام ٢٠/٢٩٢ - ٣ .

ويفسر لنا هذا ايضا سبب زيادة الائمة المستورين في قائمة الدروز باسماء عدة على غيرها من قوائم الاسماعيلية (١) · وكان سعيد عبيد الله ، وهو آخر القداحيين ، ثم خلفه بعد وفاته ابو القاسم محمد القائم ولم يكن ولده · ولكنه كان الامام المستقر الذي كان يعمل من اجله سعيد ·

ان تفسيرا مثل هذا لم يرد في كتب الاسماعيلية التاريخية ما يؤيده · فالتاريخ الرسمي لتاسيس الخلافة الفاطمية الذي الفه القاضي نعمان · وكتاب عيون الاخبار للداعي ادريس ، والكتب الحديثة كالفلك الدوار ورياض الجنان كلها تتمسك بالحق الشرعي العلوي لسعيد تمسكا قويا (٢) بيد اننا علينا ان نتذكر ان جميع الكتب التاريخية ظاهرية في طبيعتها ، وضعت لجماهير الناس فهي لا تكشف عن دخائل الفرقة واسرارها الخفية ·

على اني قدبنيت رأيي على بينة غيرها نبهني اليها وسمح لي باستنساخها صديقي م · هـ · الاعظمي من كتاب ديني اسماعيلي سري هو غاية المواليد لسيدنا الخطاب بن الحسن (او الحسين) بن ابي الحفاظ الهمداني الداعي اليماني المتوفى سنة ٥٣٣ هـ ١١٣٨م (٣) ولاهمية هذه العبارة اورد نصها كاملا فيما يلي :

« وذلك ما روي عن الامام جعفر بن محمد الصادق (صلع) في تسليمه الامر الى ولده اسماعيل (صلع) وغيبة اسماعيل وولده محمد بن اسماعيل في حد الطفولة ، ولم تكن الامامة ترجع القهقرى منه كما لم ترجع من غيره ، فأودع حجته المنصوبة

---

(١) كما في دستور المنجمين وعيون الاخبار ··· الخ ·

(٢) Fyzee. List, P. 8 ، حيث يذكر ثلاثة ائمة مستورين بعد محمد بن اسماعيل ، ويجعل المهدي الخليفة الفاطمي الاول ·

(٣) ايفانوف · Guide

بين يديه ميمون القداح مقامه لولده واقامه سترا عليه وقدمه بين يديه واستكفله اياه الى بلوغه اشده ، ولما بلغ اشده تسلم وديعته ثم جرى الامر في عقبه خلفا عن سلف حتى انتهى الامر الى علي بن الحسين بن أحمد بن اسماعيل ... بن علي بن ابي طالب . وكان على يديه طلوع الشمس وذلك انه لما ظهر النور باسقا باليمن وبلاد المغرب سار ولي الله في ارضه على ابن الحسين يريد بلاد المغرب ، حتى كان في بعض طريقه من الشام وأظهر الغيبة واستحلف حجته سعيد الخير الملقب بالمهدي ، عليهم السلام فبث قواعد الدعوة وجرى عليهما من ضدهما بسجلماسة من العمال بالمغرب ما جرى ووقى الله بوليه كيده ... ولما حضرت المهدية النقلة سلم الوديعة الى مستقرها وتسلمها محمد بن علي القائم بأمر الله وجرت الامامة عقبه حتى انتهت الامامة الى مستقرها ومعدنها واطمأنت بموضعها وموطنها » .

وقد اخبرني صديقي الاستاذ الاعظمي بأن امثال هذه العبارة واردة في كتب اسماعيلية باطنية أخرى يملكها ، وتضيف بعض هذه العبارات الى العبارة السابقة ان سعيدا نفسه من ولد القداح .

ويتضح بجلاء ان مضمون هذه الفقرة المقتبسة يجعل لمسالة النسب الفاطمي اسسا جديدة فهي باقرارها صراحة ان المهدي لم يكن علويا ، تهدم بضربة واحدة جميع البراهين التي تحاول ان تدلل على النسب الفاطمي بايجاد شجرة نسب علوي للمهدي وتترك لنا اختيار احد امرين : اما ان نرفضها واما ان نتقبل محتوياتها التي تجعل القائم - وهو الخليفة الفاطمي الثاني - الامام المستقر الذي دعا له المهدي وليس ابنه بعد ان تعتبره علويا .

نحن نعترف بأن هناك حججا قوية تحول دون الاعتراف

بهذه الرواية ، منها انه اذا كان الاسماعيليون يتمتعون بمثل هـذا المركز الحسن فلم يخفونه ويحاولون تبرير حقهم باخـتلاق نسب علوي للمهدي ؟ ومنها أن كتاب غاية المواليدقد وضع في القـرن الثاني عشر للميلاد وهو يمثل مرحلة متأخرة من مراحـل الدعوة أفلا يحتمل اذن ان يكون زيف علوية المهدي الصريـح قد أهاب بالمؤرخ ان يوجد أسسا اخرى لادعاءات الفاطميين ؟

ولكن مهما بلغت هـذه الاعتراضات من قوة الحجة فانها تنتقض وتتلاشى اذا ما قارنا نصنا السالف بكتابات الدروز : اذ نجد فيها اتفاقا تاما ومطابقة كاملة ٠

تنكر الكتابات الدرزية سبعة أئمة من اسماعيل الى عبدالله المهدي وتصف بعضهم بأنهـم من ولد ميمون القداح ٠ ومـن هذا يبدو أن القائمة قد شملـت الائمة المستقريـن ـ وهم الائمـة العلويون الدائمون ـ والائمة القداحين أو الحفاظيـن ٠ وتبيـن الكتابات الدرزية بجلاء ان المهدي نفسه مـن الجماعـة الثانية ٠ قال دو ساسي (١) « يقول حمزة رئيس فرقة الدروز ، في حديثـه عن المهدي الذي يسميه سعيد بن احمد ان لديه شيئا مودعا
(Une chose déposée)

وان الحاكم استرجعـه ٠ ونفهم من تعليقه بين سطور المخطوطة أن هذا الشيء المودع لديه هو مقام الامامـة ٠ ولست أملك النص العربي لهذه العبارة ولكن يظهر لي ان كلمته الفرنسية (Une chose déposée) يجب ان تكون وديعة ، لأننا قد نقرأ (حاكم (قائم) نظرا لان الدروز يعتقدون بأن الائمة كلهـم شخص واحد ٠

(١) 1, Intro., 253

ومما يؤيد هذا القول ما نجده في رسالة تقسيم العلوم (١) حيث يذكر المؤلف في كلامه على (سعيد المهدي) :

(وهو الذي استودعه المولى المعل جل اسمه الوديعة وأمره بخدمة مولانا القائم جل اسمه · وكان اول ظهور المولى للعالم بصورة أسماها القائم وأول ما ظهر بمملكة الدنيا في ذلك الوقت)

لم يخف علي دو ساسي أن يلحظ الفرق في المرتبة بين المهدي وخلفه القائم اذ يقول (٢) « ومما يجدر ذكره أن عبيد الله – وهو سعيد نفسه – منشيء سلطان الفاطميين واول خلفاء اسرتهم والذي دعا نفسه بالمهدي وأقر له بذلك · لا يضفي الدروز عليه قدسية الهية بل يقصرون هذا الشرف على ابنه وخلفه القائم· واعتقد ان الانسان ليستطيع تفسير ذلك على فرض ان الشخص المسمى المعل كان معاصرا لسعيد ولكنه توفى قبل مولد القائم وقد كانت الالوهية متجسدة في المعل ولذلك فلا يمكن التصور بأنها كانت متجسدة في سعيد في نفس الوقت » ·

اننا اذا أردنا ان نفسر العبارات الدرزية على ضوء مصدرنا الاسماعيلي فلا يمكننا أن نفسرها الا تفسيرا واحدا وهو أن المعل المبهم وسلف القائم في الامامة ليس الا علي بن الحسين المذكور في غاية المواليد والأب الجسماني لمحمد بن علي القائم · وأن سعيد المهدي – الذي تضعه المصادر الدرزية في مرتبة ادنى كان اماما مستودعا من ولد القداح ، أرسل ليمهد السبيل ويحتمل

....

(١) ورقة ١١٩ – انظر دي ساسي ١/٣٨ · وفي رسالة درزية اخرى عبارة مثل هذه العبارة نقلها دو ساسي ١/ ٨٠ – ٨١ ·

(٢) ١/٣٨ ، ملاحظة ٢ ، (انظر أيضا ٨٤) – انظر بلوشيه ٩٤ : « في النظرية الاسماعيلية ان المهدي لم يدع أنه مجسد الالوهية ، وانما ذلك هو ابنه القائم الخليفة الفاطمي الثاني · وما المهدي الا ابو القائم او حجة القائم » ·

المخاطر لأجل الامام العلوي المستقر الذي خلفه بعد وفاته ·
وهكذا يتضح لنا ان هناك فرعين لنسب الائمة احدهما العلويون المستقرون وثانيهما القداحون المستودعون وذلك خلال عهد الغيبة المبتدىء بمحمد بن اسماعيل وعبد الله بن ميمون القداح والمنتهي بسعيد الخير والقائم ، الخليفة الفاطمي الشرعي الاول (١) ·
والآن نستطيع ان ننتقل الى بحث ، أكثر تعقيدا ، عن الشخصيات البارزة لهذا العصر المضطرب ·

٤ ـ ميمون وعبد الله بن ميمون القداح

من أهم شخصيات الدعوة لهذا العصر وأبرزها هو ميمون القداح وابنه عبد الله ، وقد توفرت عنهما جملة روايات متضاربة وما يلي يمثل محاولة لجمع المعلومات الرئيسية لدينا وتصنيفها (١)

الأسطورة السنية : أول ما نبدأ به هو ما يصح ان نسميه بالاسطورة السنية في ميمون وعبد الله ، كما وردت في غالبية كتب السنة وفي كتابات المستشرقين الاوروبيين الاولين بعدئذ ·
واقدم رواية سنية لها جاءت في كتاب ابن رزام (القرن الرابع

---

(١) وهذا الفرق بين الامام المستودع والامام المستقر قد ظهر تاييده في كتاب يسمى (أربعة كتب اسماعيلية ، نشره وعني بتصحيحه شتروطمان غوتنغن سنة ١٩٤٣ وهو كتاب اسماعيلي من كتب القرن الخامس الهجري ·

(١) جمعت اكثر مواد هذا الفصل عندما نشر محمد خان القزويني المجلد الثالث من كتابه خويني · وفي التعليقات على (ص ٣١٢ ـ ٣٤٣) مجموعة مواد نافعة عن عبدالله بن ميمون · وقد أعرت هذه المجموعة اهمية خاصة وأجريت بعضا من التصحيحات في مجموعتي ·

الهجري) وقد حفظها لنا ابن النديم (١) في الفهرست ، والمقريزي في الاتعاظ والمقفى ،والنويري في نهاية الأرب وخلاصة رواية ابن رزام التالية جمعناها من الرويات الواردة في هذه الكتب ٠

كان ميمون القداح ابن رجل مثنوي يدعى ديصان وكان يعتقد بمبادئ غالية وقد سميت الفرقة الميمونة باسمه وكان من اتباع ابي الخطاب وكان هو وابنه ديصانيين (٢) ٠

وكان ابنه عبد الله شرا منه ، واسع الاطلاع في جميع المذاهب والاديان ، قوي المكر والاحتيال ٠ ادعى انه نبي ، ودعم دعواه بالشعاويذ واستعمال الحمام الذي مكنه ان يخبر بالاحداث الكائنات في البلدان الشاسعة ووضع نظاما في معتقداته جعله في سبع مراتب (٣) آخرها الالحاد التام والاباحة وحاول ان يؤلف مجتمعا يستطيع ان يسيطر على موارده ٠ وكان يدعو في الظاهر للامام محمد بن اسماعيل ٠ وقد اصطنع التشيع لآل النبي واظهر الزهد والعبادة ٠

وقد جاء في الاصل من محل في الاهواز يسمى قورج العباس ونزل في عسكر مكرم ، ثم طرد منها فذهب هناك ساباط ابي نوح وبنى له فيها دارين ٠ فافتضحت هناك شعوذته ودجله فأخرجه الشيعة والمعتزلة فسار الى البصرة ٠ فنزل على قوم من اولاده عقيل بن ابي طالب (٤) ، ودعا لمحمد ابن

---

(١) الفهرست ١٨٦ ـ الاتعاظ ١١ وما بعدها ـ دي ساسي ٤٣٨ وما بعدها ـ كاترمير : مقفي المقريزي ١١٧ ـ فاكنان : مقفى المقريزي ٣٩ ٠

(٢) العبارتان الاخيرتان موجودتان في الفهرست وغير موجودتين في الاتعاظ ٠

(٣) المراتب السبع في الاتعاظ وليست في الفهرست ٠

(٤) هكذا في الفهرست ، أما الاتعاظ فيقول : « ادعى أنه من ذرية عقيل » ٠

اسماعيل . وكـان بصحبته الى البصرة رفيق له يدعى حسين الاهوازي . وقد طارده الجنـود في البصرة فهـرب هو ورفيقه الى سلمية وبقي مستترا فيها حتى مـات . وبث الدعـاة من سلمية الى العـراق فأجابه رجـل يعـرف بحمدان بن الاشعـث ويلقب بقرمط (١) . ونصب لـه عبد الله رجلا من ولده يكاتبه من الطالقان وذلك في سنة ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م (٢) ثم مات عبد الله فخلفه ابناؤه في توجيه الدعوة حتى نجح احدهم (ويدعـى سعيدا) في أن يؤسس الدولـة الفاطمية في افريقية وأدعى انه من سلالة محمد بن اسماعيل بن جعفر .

هذا هو مجمـل القصة كمـا ذكرهـا ابـن رزام . ويزيد الفهرست عليها دون ان يشير الى سنده ما يلي من التفصيل (٣) : وكـان ممن واطأ عبـد اللـه على امره رجل فارسي يعـرف بمحمد بن الحسين ويلقب بزيـدان من ناحية الكرخ من كتـاب احمد بن عبد العزيز بن ابي دلف (٤) وكان هذا الرجـل متفلسفا حاذقا بعلم النجوم شعوبيا شديد البغض للاسلام . وقـد تنبأ ، مستندا على مطالعـة النجوم ، بسقوط دولـة العرب وعـودة الامبراطورية الفارسية وديانتها . وكان يأمل ان يتـم ذلك على يديه فواطأ هذه الدعوة القداحية وظاهـر عليها عبد اللـه بن ميمون وجعله وريثه . وتؤلف قصة زيدان - وقد يدعـى دندان -

....

(١) يذكر الفهرست ان حمدان قرمط قد صبا الى الدعوة في حياة عبدالله أما الاتعاظ فيقول في حياة خلفه .

(٢) هكذا في الفهرست وليس في الاتعاظ .

(٣) ١٨٨ قارن دي خويه ١٥ .

(٤) والي كردستان في زمن العباسيين حكـم بين سـنتي ٢٦٥ - ٢٨٠هـ ٨٧٨ - ٧٩٣م .

التي نقلها الكتاب المتأخـــرون وتوسعوا فيها ، ورواية ابن رزام ـ الاسس لجميع الابحــاث السنية في هذا الموضوع تقريبا ٠

ويلاحظ ان هنـــاك خلافات طفيفة بين روايتي الفهـــرست والاتعـــاظ وتناقضا كبيرا واحدا في تثبيت التواريخ ٠ فبينمـــا يجعل الفهرست ميمونا معاصرا لابي الخطـــاب الــذي قتل سنة ١٣٨ هـ ٧٥٥ م يذكر ان ابنه كان حيا في سنة ٢٦١ هـ ٨٧٤ م ٠ وهذه مصادفة بعيدة الاحتمـــال ٠ اما الاتعـــاظ فانه لا يذكـر التواريـــخ ٠

وقصة زيـــدان تؤيد التاريخ الثاني اذ لا بـــد ان يـــكون زيدان قـــد عاش ـ اعتمادا على روايــــة الفهرست ـ في القرن الثالث للهجرة ٠ ويختلـــف الكتاب السنة المتأخرون في حيـاة عبد الله بن ميمون واعمالـــه اكانت في القرن الثانـي ام فـــي القرن الثالث ؟ امـــا الباحثـون الاوروبيـــون فدو ساسي (١) ودو خويه (٢) يرجحان انهـــا كانت في القرن الثالث ، وكازانوفا (٣) وماسينيون (٤) يريان انها كانت في القرن الثاني ٠ وسنرى انه لم يبق شك في صحة راي كازانوفا وماسينيون ٠

ويمكننا الآن ان نفحص بعض المصادر السنية الأخـرى ٠ اورد لنا الامير عبد العزيـز بن شداد حاكم افريقيـــة في القرن السابع الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي) بـــحثا ضافيا في كتابـــه تاريخ افريقيا والمغـــرب لم أستطع ان احظـى بنصه الاصلي وان كانت مخطوطاته موجـودة في مصر وسوريا ، على

---

(١) Exposé 1, Intro., 67 and 165

(٢) Mémoire , 13 ff .

(٣) Un Date Astronomique. f, A., 1915.

(٤) مقالة عن القرامطة في دائرة المعارف الاسلامية ٠

ان النويري (١) والمقريزي (٢) وأبا المحاسن (٣) قد حفظوا لنا قسما منه واقتبسه ابن الاثير (٤) · وفي كتاب Polemics (٥) لمامور ترجمة انكليزية له مع مقارنة للروايات المختلفة ·

وفيما يلي مجمل ما قاله : كان من أتباع ابي الخطاب واصحابه رجل يعرف بميمون بن ديصان بن سعيد غضبان صاحب كتاب الميزان (٦) في نصرة الزندقة · وكان لهما ثالث يدعى ابا سعيد من رام هرمز في الاهواز (٧) · وقد قام الثلاثة ببث أفكار متطرفة وعقائد غالية · وانتشرت دعوتهم ودخل فيها اناس كثيرون ·

فلما افتضحت مذاهبهم وآراؤهم قتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه وتفرقت هذه الطائفة وفر ميمون مع بعض أتباعه الى القدس فاحتالوا على القوم بالشعوذة والنارنجيات والزور والنجوم والكيمياء واظهار الزهد · ونشأ لميمون ابن يقال له عبد الله القداح لقنه العقائد وأطلعه على الاسرار ومرنه ليكون خلفه · وقد أشار عليه أن يظهر التشيع ·

وفي اثناء حكم الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ ٨١٣ ـ ٨٣٣ م) دبر عبد الله بن ميمون مع كثير من أتباعه

---

(١) مخطوط في لايدن ـ De Sacy, Exposé, 1, Intro., 440.
(٢) المقفى : كاترمير ، المجلة الاسيوية ، آب ١٨٣٦ ص ١٣١ ـ ١٤٢ وفانيان ٧٧ وما بعدها ·
(٣) النجوم الزاهرة ٢/٤٤٦ ·
(٤) ٨/٢١ ·
(٥) ٤٥ ·
(٦) هكذا يسميه ابن الاثير وكتاب النجوم الزاهرة · أما المقريزي فيسميه كتاب الميدان ·
(٧) لم يذكر النويري ولا ابو المحاسن ، أبا سعيد معهم ·

حورات شيعية في الكرخ واصفهان وكان من بين أتباعه رجل فارسي ثري اسمه محمد بن الحسين ويلقب بدندان ساعده وشد أزره · ولما توفي دندان ذهب ابن ميمون الى البصرة فنظم الدعوة · ثم خلفه بعد وفاته أعقابه ومنهم كان الخلفاء الفاطميون·

تجعل هذه الراوية ، التي أخذها ابن الاثير ، ميمونا معاصرا لأبي الخطاب وعلى هذا فهي تعتبره من أهل القرن الثاني الهجري وتتفصل في مسألة أو مسألتين من حياته ·

ويذكر البغدادي (١) : أن عبد الله بن ميمون ديصان المعروف بالقداح كان مولى لجعفر بن محمد الصادق وكان من الاهواز ومن أصحابه دندان ، لقيه في سجن العراق فأسسا مذهب الباطنية ونشراه بعد خلاصهما في السجن · ورحل عبد الله الى ناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية الى عقيل بن أبي طالب ثم ادعى أنه من سلالة محمد بن اسماعيل وكان سعيد ، وهو أول الخلفاء الفاطميين ، من ذريته ·

ويذكر عبد الجبار (٢) أن مؤسس مذاهب الباطنية ومنظم عقائدها هو عبد الله بن ميمون بن ديصان بن سعيد غضبان مع دندان · ويقول بأن هذه المعلومات قد أذاعها القرامطة أثناء حكم زكريا في البحرين (٣) عندما نشروا كل أسرارهم بأنفسهم ·

ويقص أبو المعالي (٤) أن الذين أوجدوا الباطنية ثلاثة نفر

---

(١) ١٦ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ ، الترجمة ٣٥ ، ١٠٨ ، ١٣١ · انظر ايضا : مختصر الفرق بين الفرق ١٧٠ ، وليس من الواضح أنقرأه عبد الله بن ميمون أم عبد الله فقط ؟

(٢) ورقة ١٤٧ ف ·

(٣) انظر : دو خويه ١٢٩ وما بعدها ·

(٤) طبعة اقبال ٣٦ ـ Shefer, 158 - Massé , 75

من الكفار ، يعرف أحدهم بابن ميمون القداح · وقد انشأوا مجموعة من العقائد ونظموا دعوة ونصبوا احد ابناء ميمون اماما ،وانتحلوا له نسبا علويا ·

ويجعل الجوبري (١) عبد الله ابنا لميمون بن مسلم بن عقيل (او عقيل) وهذا خبط واضح مصدره انتماء عبد الله الى بني عقيل وادعاؤه نسبهم · وقد ظهر عبد الله كما يذكر الجوبري أيام المأمون فسجنه الخليفة ومات في السجن · وكان قد ادعى النبوة وأيد دعواه بالشعاويذ والحيل · وكان مجيئه من سواد الكوفة ·

ويذكر ابن الجوزي (٢) رئيسا زعمته الباطنية ، اسمه عبد الله بن عمرو وابن ديصان القداح الاهوازي المشموذ الكذاب ، نظم الدعوة في انحاء كثيرة من البلاد الاسلامية وتظاهر بالزهد والعبادة وادعى انه من سلالة محمد بن اسماعيل ·

ويقول السمعاني (٣) ان عبد الله كان من معية محمد ، خدمه وخدم أباه اسماعيل ولما توفي اسماعيل ادعى أنه ابنه ، بيد أنه كان في الحقيقة ابن ميمون القداح ·

وتنكر سياسة نامة (٤) عن عبد الله بن ميمون القداح أنه كان في الاهواز وأنه استمال المبارك مولى محمد بن اسماعيل (٥) وأسسا الفرقة ونظما الدعوة · وقام عبد الله ببث الدعوة في قوهستان العراق ،واحتال بالسحر والنارنجيات· وبعدأن اتخذلنفسه مساعدا يدعى خلف ، وجد نفسه في خطر ،فهرب الى البصرة ومعه

---

(١) ١١ ·
(٢) Smogyi, R. S. O., P. 256 and 264.
(٣) الانساب ٤٤٣ ·
(٤) ١٨٣ ، الترجمة ٢٦٩ ·
(٥) نظر الفصل الاول ·

ابنه أحمد فاستمر في نشر الدعوة سرا حتى وفاته ، ففارق أحمد البصرة الى افريقية ثم استقر في سلمية ·

ويصف الشاعر أبو العلاء المعري (١) عبد الله بن ميمون القداح في فقرة غريبة اذ يقول بأنه باهلي وأنه كان من علية أصحاب جعفر الصادق ثم ارتد عنه فيما بعد والشيعة رغم ذلك يحترمونه محدثا ويروون عنه الحديث قبل ارتداده · ثم ينقل أبو العلاء أبيات عدة من الشعر منسوبة لعبد الله يعلن فيها براءته من جعفر ·

ويذكر الذهبي (٢) عن عبد الله بن ميمون القداح المكي (!) انه محدث وأنه مولى جعفر · ويقتبس آراء مختلفة توثقه في رواية الحديث وتجعله حجة ، ويسطر أسماء أشخاص كثيرين رووا عنه ·

ويورد شهاب الدين بن العمري (٣) في كتاب التعريف صيغة القسم عند الاسماعيلية وهي : (ان كان ما أقوله كذبا ولم أقل بانتقال الامامة الى السيد الحسين ثم بنيه بالنص الجلي موصلة الى جعفر الصادق ثم الى اسماعيل صاحب الدعوة الهادية والاثرة الباقية ، والا قدحت القداح ، واثمت الداعي الاول ···) ·

ويزيد رشيد الدين والجويني قليلا من التفاصيل على ما استفدناه من المصادر السالفة · فرشيد الدين (٤) ، بعد أن يجعل أبا الخطاب مؤسسا للباطنية ، يعتبر ميمون القداح وابنه عبد الله

---

(١) رسالة الغفران ١٥٦ ـ نكاسن : مجلة الجمعية الاسيوية الملكية ١٩٠٢ ص ٣٥٣ ·

(٢) ميزان الاعتدال ٨١/٢ ·

(٣) التعريف ١٥٧ ـ ١٥٨ ·

(٤) ليفي : مجلة الجمعية الاسيوية الملكية ١٩٣٠ ص : ٥١٢ ، ٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٢ · ـ بلوشيه ٦٧ ـ ٦٩ ·

من بين الدعاة « وكان كلاهما من علماء الفرقة وأعيانها » ويذكر بأن عبد الله نزل سنة ٢٩٥ هـ ٩٠٧ ـ ٨ م في عسكر مكرم في محل يدعى بساباط ابي نوح حيث توفق في دعوته واستجاب له كثيرون ولما افتضح أمره فر الى البصرة ونزل على قوم من بني عقيل ثم ذهب من هناك الى قوهستان فارس والاهواز واستمر في نشر الدعوة وبث الدعاة الى أماكن مختلفة · ولما توفى أبوه رحل الى سورية ونزل سلمية وظل فيها حتى مات · فخلفه ابنه احمد · وقد لاحظنا عبارة رشيد الدين ، تلك العبارة التي تنص على أن جعفر الصادق أرسل ميمون القداح بصحبة حفيده محمد بن اسماعيل ثم أصبح محمد الاب الروحاني لعبد الله بن ميمون ·

ورواية جويني (١) تكاد تكون رواية رشيد الدين نفسها ·

وفي هذا الصدد والمعنى كلام كثير غير ما ذكرناه ، مسطور في كتاب ابن خلكان (٢) وجمال الدين الحلبي (٣) والمقريزي (٤) والسيوطي (٥) وغيرهم ولكنهم لا يضيفون شيئا الى معلوماتنا ·

بقي علينا أن نشير الى محضر بغداد الشهير الذي كتبه ببغداد سنة ٤٠٢ هـ ١٠١١ م جماعة من أعيان العلويين والقضاة وغيرهم · وفي هذا المحضر قدح بنسب الفاطميين وشهادة لكاتبيه بأن جدهم هو ديصان بن سعيد الذي سميت باسمه الفرقة الديصانية · والمحضر لا يشير الى ميمون أو ولده عبد الله · وقد

---

(١) جهان كوشا ٣/١٥٢ ـ بلوشيه ٦٧ ـ ٦٩ ، ٨٨٩ ·
(٢) ١/٣٤٢ ـ سلين ٢/٧٧ ·
(٣) وستنفيلد ٣ ـ ٤ ·
(٤) الخطط ١/٣٤٨ ·
(٥) تاريخ الخلفاء ٣ ·

حفظ لنا نصه أبو الفداء (١) والمقريـــزي (٢) وابـــو المحاسن (٣) وجويني (٤) بشيء من الاختلافات الطفيفة ·

هذه هي قصة ميمون وعبد الله القداح كما ترويهـا كتـــب السنة · ويلاحظ القاريء أنها لا تختلف عما يرويه لنا ابن رزام الا بشيء قليل من الزيـادة والتغيير · ويمكننـا أن نغض النظـر عن الاختلافات القليلة لاضطرابها الظاهر ولانها تنافي غالبية الروايات وهكذا يكاد يبدو من المؤكد أن الاسرة جاءت في الاصل من الاهواز، وأن عسكر مكرم وساباط أبي نوح والبصرة وسلمية كانـــت ، على التعاقب مراكز القيادة التي أدار منها ميمون وابنه الدعوة · وتتفق غالبية المصادر في جعل سلمية آخر مقر لعبد الله ·

الا اننا يجدر بنـا أن نلاحظ بعض المتناقضـات الواردة في الروايات ، اذ أن البغدادي والجوبري يقولان ـ خلاف غيرهمـا ـ بأن عبد الله كان ـ في وقت مـا ـ سجينا في العراق · ويؤكد الجوبري انه مات في السجن · ولكن الدلائـل الكثيرة تساعدنا كـــي نرفض (ونحن واثقون) دعوى الجوبري بموت عبد الله في السجن ، وان كان من المحتمل أنه قد دخل السجن حقا في فترة من حياته ، ومثل ذلك دعوى سياسة نامة بموته في البصرة ·

ومع أنه من المحتمل أن يكون ميمون قد أقـام (في القدس) فترة من الزمن الا اننا نستطيع أن نرفض ما ذكره البغدادي عـــن رحلة قام بها عبد الله الى افريقية · اذ يظهر ذلك بعيد الاحتمال ،

---

(١) ٣/١٤ ـ ١٧ ·
(٢) الاتعاظ ٢٢ ·
(٣) المجلد الثاني ، القسم الثاني ص ١١٢ ـ ١١٣ ·
(٤) ٣/١٧٤ · وتوجد ترجمته في : De Sacy , Intro ., 253

يتعارض مع جميع المصادر الاخرى اذ يقتصر على ذكر رحلتين اثنتين فقط ـ رحلة ابي سفيان والحلواني (١) سنة ١٤٥ هـ ـ ٧٦٢ م ورحلة ابي عبيد الله الشيعي ـ ونستطيع أن نعلل هذه الغلطة بأن حوادث متأخرة نسبت الى الماضي ·

وهناك أيضا بعض الاختلافات في مسألة صلات عبد الله بآل عقيل · فرواية ابن رزام في الفهرست ورواية رشيد الدين كلتاهما تذكر بأن عبد الله التجأ الى بني عقيل او عقيل · بينما تذكر رواية ابن رزام في الاتعاظ وابن الاثير والبغدادي والنويري (٢) بأنه ادعى انه من ذرية عقيل بن أبي طالب أخي الخليفة علي بن أبي طالب (٣) · أما الجوبري فانه يجعله أحد أحفاد عقيل أو عقيل ولا ينسب بنوته الى أبي طالب ولا الى غيره ·

وتذكر رواية (أخو محسن) الواردة في كتاب النويري (٤) بأن عبد الله نزل في البصرة في بني باهله ، عند موالي عقيل ابن أبي طالب وادعى انه من سلالة عقيل · وينسب أبو العلاء أيضا عبد الله الى باهلة ·

والشواهد هنا متضاربة بحيث يشق علينا أن نتوصل بها الى حكم بات ، ويبدو عليها شيء من الخلط والاضطراب · ولكننا نستطيع أن نستنتج ـ حتى تظهر بينات أخرى ـ أن نسبته الى سلالة عقيل ربما لم تحدث وذلك لعدم ورود أي ذكر لعقيل فيما لدينا من اشارات درزية واسماعيلية عن ميمون ·

---

(١) الاتعاظ ٣١ ـ افتتاح الدعوة ٢٣ ـ بلوشيه ٦٩ ـ دو ساسي : 1, Intro .,450 .

(٢) دو ساسي : 1, Intro., 197 .

(٣) انظر بحثا عن عقيل وذريته في كتاب المعارف لابن قتيبة ، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٥ : ص ٨٨ ·

(٤) دو ساسي : 1, Intro., 445 .

والضرب الآخر من التناقض الهام هو ما بين رواية الذهبي وأبي العلاء من جهة وروايات المصادر الاخرى من جهة ثانية · فالاولان يذكران عبد الله محدثا شيعيا موثوقا به · والمصادر الاخرى تجعله هو وعائلته مارقين ديصانيين ثنويين ··· الخ ·

وتذكر أن أباه ميمونا قد الف كتابا في نصرة الزندقة · وسنرى أن رواية الذهبي وابي العلاء من اختلاق المصادر الشيعية ·

وآخر هذه المتناقضات ـ وقد تكون اهمها ـ هو التناقض في السنين · فبعض مصادرنا تجعل ميمونا وابنه معاصرين لجعفر واسماعيل وابي الخطاب ، وبعضها تقول ان عبد الله عاش في أواخر القرن الثالث ، وبعضها كالفهرست ورشيد الدين يأخذ بكلتا الروايتين دون أن ينتبه أصحابها الى أستحالة الاحتمال ·

أما آراء دو خويه وكازانوفا وغيرهما فقد اشرنا اليها · وسنرى عند البحث في المصادر الشيعية والاسماعيلية وتمحيصها ان لاشك في رأي أن عبد الله واباه عاشا في القرن الثاني وأن كل ما نكر من أعمال حدثت في القرن الثالث يجب أن تنسب كما لاحظ محمد خان القزويني ، الى ذرية ميمون القداح المتأخرين ·

أ ـ مصادر الشيعة الاثني عشرية :

ان أول من كشف عن اهمية كتابات الشيعة الاثني عشرية من حيث أنها مصدر لتاريخ الاسماعيلية ولا سيما لحياة عبد الله ابن ميمون هو ماسينيون (١) · وقد استفاد منها كازانوفا (٢) الى

(١) مقالة عن القرامطة في دائرة المعارف الاسلامية ESquisse ·· الخ ·
(٢) . Un Date Astronomique. G. A., 1915.

حدّ ما . وأول بحث شامل لها نجده في تعليقات محمد خان للقزويني (١ _) على المجلد الثالث من كتاب جويني .

تكاد كتب تراجم الرجال والمعاجم الاثني عشرية تجمع على أن عبد الله بن ميمون القداح كان محدثا . وتتفق كلها على انه كان معاصرا لجعفر الصادق وأنه من اصحابه . وفيما يلي قليل من اقدم هذه الاشارات .

يروي الكشي (٢) وقد عاش في القرن الرابع الهجري « العاشر الميلادي » حديثا عن عبد الله بن ميمون القداح المكي (٣) أن محمد الباقر قال له : « يا ابن ميمون كم انتم بمكة ؟ » فقال : « نحن اربعة » فقال محمد : « انكم نور في ظلمات الارض » . وينكر الاسترياداي (٤) والحلبي (٥) هذا الحديث نفسه الا ان الحلبي يشك فيه لانه جاء على لسان شخص يريد صالحه .

وعند النجاشي (٦) (٣٧٢ الى ٤٥٠ هـ _ ٩٨٢ الى ١٠٥٨ م) : عبد الله بن ميمون بن الاسود القداح أحد موالي بني مخزوم وكان يشتغل بالبصريات ، وكان ابوه راوية باقر وجعفر الصادق ، وكان هو نفسه راوية جعفر الصادق أيضا فكان ثقة ، وألف كتبا عدة نكر

---

(١) ٣/٢٣ وما بعدها .

(٢) ١٦٠ ، ٢٣٧ _ جويني ٣١٥ _ وفي الكشي حديث آخر يتهم عبدالله (بالتزيد) ، وهي كلمة غير واضحة المعنى ولعلها تشير الى الزيدية . الحلبي يطعن في هذا الحديث .

(٣) ويسميه الذهبي بالملكي أيضا .

(٤) منهاج المقال ٢١٢ .

(٥) ١٥٢ _ جويني ٣١٦ .

(٦) ١٤٨ _ جويني ٣١٥ _ واقتبس ملاحظات النجاشي واكدها : الحلي (اعلام ٥٢ وجويوني ٣١٢) واستربادي (منهاج المقال ٢١٢) .

النجاشي أثنين منهمـا همـا مبعث النبي وكتـاب صفة الجنة ـ والنار (١) .

ويشير الطوسي (٢) المتوفي سنة ٤٦٠ هـ ـ ١٠٦٧ م الى كون عبد الله مؤلفا ومحدثا ، ويعدد جماعة روت عنه الحديث .

ويذكر الحلـي (٣) (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ ـ ١٢٥٠ ـ ١٣٢٥ م) رواية جعفر ويشير الى أن أباه كان رواية لمحمد الباقر ويروي بأن رجلا اسمه جعفر بن محمد بن عبد الله كـان راويـة لعبد الله ابن ميمون .

ويجعله ابن شهر اشوب (٤) المتوفي سنة (٥٨٨هـ ـ ١١٩٢م) أيضا من أصحاب جعفر ومن المؤلفين ويلقبه بالمكي .

وكان محمد بن يعقوب الكليني المتوفي سنة (٣٢٩هـ ـ ٩٤٠م واحدا من كثيرين ممن رووا عن عبد الله بن ميمون القداح مـن الشيعة المجتهدين (٥) .

من هذا كله يتضح لنا أن كثيرا من أحكـام المصـادر السنية خاطئة . والحقيقتان التاليتان تتجليـان ماثلتين للعيـان بحيث لا مجال للنزاع فيهما وهما :

١ ـ أن ميمونا وابنه عبد الله كانا معاصرين لجعفر الصادق أي أنهما عاشا في القرن الثاني وليس في القرن الثالث .

---

(١) انظر ايفانوف : GUide, 29

(٢) ١٩٧ ـ جويني ٢١٦ .

(٣) جويني ٢١٦ ـ الطوسي ١٩٧ .

(٤) ٦٥ .

(٥) جويني ٣١٩ . واذا أردت الاطلاع على اشارات شيعية أخرى فانظر : جويني ٣٤١ .

٢ ـ انهما كانا في مستهل حياتهما ـ على الاقل ـ محدثين شيعيين موثقين معروفين ولم يكونا ديصانيين ثنويين او ما شابه ذلك ٠

ويبدو أيضا أن المصادر الشيعية متفقة على نسبة ميمون أو ابنه الى مكة ٠ وهذا يعارض اجماع المصادر السنية على انهما من اصل اهوازي ، وليس من الضروري أن تكون الروايتان متناقضتين حتما اذا عرفنا أن النسبة المحلية في العربية فيها شيء من التساهل وعدم التقيد ٠

وقد رأى بعضهم (١) أن عبد الله ميمون القداح الوارد ذكره في كتب الشيعة الاثني عشرية كان ، طوال عمره ، شيعيا اثني عشريا متحمسا ولا علاقة له بالاسماعيلية ٠ واذا كان هناك رجل اسماعيلي بهذا الاسم فانما هو شخص آخر غيره ٠ والارجح أن القداح الاسماعيلي شخصية خيالية مفترضة اختلقها الاسماعيليون انفسهم أو مناوؤهم الكارهون وأن ما دفع الاسماعيليين على هذا الاختلاق هي رغبتهم في أن يسبغوا على حركتهم الاحترام والاجلال باقران شخص معروف من أصحاب الائمة بها ٠

ولكن لتأكيد الكتب الاسماعيلية الكبيرة على نشاط ميمون القداح كاحد الاسماعيلية لا يترك لهذا الافتراض مجالا ولا يسمح للشك ان يتطرق الى اسماعيليته ٠ كما أن الاشارة الى عبد الله بن ميمون بأنه محدث اثنا عشري لا تمنع نسبته الى الاسماعيلية اخيرا ٠ فان أبا العلاء المعري يقول بأن الشيعة رووا عنه ووثقوا به قبل ان يرتد ٠ كما أن ابا الخطاب المارق السيء السمعة قد وضع في هذا الميزان أيضا ٠

(١) محمد خان القزويني في جويني ٣١٠ وما بعدها ٠

ويمكننا أن نختتم فحصنا للمصادر الشيعية بموجز مـا جاء عن عبد الله بن ميمون في كتاب (تبصرة العوام) (١) لمؤلف شيعي مجهول ، وفيه أن عبد الله كـان من اصحـاب جعفر الصـادق واسماعيل ولما توفي جعفر أغرى حفيده محمد بن اسماعيل وذهب معه الى مصر حيث مات محمد وخلف جارية حبلى فقتلها عبد الله وجعل بدلها جارية له ولدت منه طفلا نشأه على مبادئه ولقنه عقائده ثم احتال على الناس وجعله ولد محمد بن اسماعيل فصدقوه فكان اماما ٠

ونستطيع أن نرفض هذه القصـة باعتبارهـا تفسيرا آخـر مغلوطا معاديا للصلات الحقيقية بين القداحين ومن تبنوهم ولكنها على كل حال ذات أهمية بما تسبغه على عبد الله بن ميمون القداح الاسماعيلي من صبغة شيعية ٠

ب ـ الارشادات الاسماعيلية :

كل محاولة لدراسة مفصلة لحياة عبد الله بن ميمون القداح وابنه في المصادر الاسماعيلية ضرب من المستحيل الى ان يتيسر لنا قدر أعظم من الكتابات الاسماعيلية،خصوصا وأن قصتهما اختصت بها الروايات ذات الصبغة التأويليـة ، ولم تتعرض لهـا الكتب التاريخية الاسماعيلية ذات الطبيعة الظاهرية ٠

وقد شاهدنا الاشارات الهامة التي تجعل ميمون القداح قيما ومستودعا لمحمد بن اسماعيل في كتابـات الدروز وفي الكتـاب الاسماعيلي (غاية المواليد) ٠ ولم يبق علينا الا أن نضيف قليـلا من التفصيلات مستمدة من مصادر اخرى ٠

(١) شفر ـ ١٨٦ : chrestomathie, 1, 181

في كتب الدروز ، كان محمد بن اسماعيل الناطق السابع وكان ميمون القداح (ويدعى تاويلي) اساسه (١) • وقد نكر فيها ان عبد الله هو ابن ميمون وان ميمونا هو جد سعيد ـ مهدي •

ويذكر دستور المنجمين (٢) ، وهو كتاب اسماعيلي قديم ، ميمونا على انه من اصحاب باقر ، وعبد الله من اصحاب جعفر الصادق •

ويقول (كلام اي بير) و (حفت باب ابي اسحق) (٣) بأن عبد الله بن ميمون كان حجة في زمن الستر ، اي في المدة التي تلت وفاة جعفر الصادق •

ويجعله زهر المعاني (٤) من ابناء سلمان الفارسي ، ولعله يقصد ذلك من الناحية الروحية •

ويذكر الفلك الدوار (٥) ـ أخيرا ـ شيئا مختصرا عن عبد الله ، وهو كتاب اسماعيلي حديث اعتمد على المصادر السنية اعتمادا ظاهرا •

ونستطيع الآن ان نكون من هذه المصادر المختلفة قصة ميمون القداح وابنه عبد الله كما يلي :

كان ميمون وابنه شيعيين محترمين من اصحاب جعفر الصادق واتصل ميمون في زمن ما بالشيعة الغلاة ، اتباع ابي الخطاب واسماعيل بن جعفر ، ولعب دورا هاما في تكوين عقائد

---

(١) دو ساسي : 1, Intro, 48 - 5 .
(٢) دي خويه ٢٠٦ •
(٣) كلام بير ٦٨ •
(٤) ايفانوف : Guide, 63 كلام بين : الترجمة ٦٢ حاشية •
(٥) ١٣٧ ـ ١٣٨ •

الفرقة وتنظيم دعايتها · ولما مات أبو الخطاب تزعم الامر واصبح قيما على محمد بن اسماعيل ومؤدبه فلقنه مذهب الباطن · وقد نشأ ابنه عبد الله كما نشأ محمدا فخلف أباه في الدعوة الى الامام · ونستطيع ان نجعل وفاة عبد الله في بداية القرن الثالث الهجري · أما تفاصيل نشاطهما وحركاتهما فعلينا أن نظل معتمدين على رواية ابن رزام حتى تظهر معلومات أوفر ·

ج ـ الاسطورة اليهودية :

قبل ان نفرغ من هذا الموضوع يحسن بنا أن نتطرق الى وجه آخر ذي صلة وعلاقة به · وهو محاولة جماعة من المؤرخين السنة أن يجعلوا للخلفاء الفاطميين أصلا يهوديا ·

وتظهر هذه « الاسطورة اليهودية » كما يدعوها ليسي أو ليري (١) في أربعة أشكال ·

١ ـ أقدم اشارة الى هذه النظرية وردت في رسالة محمد ابن مالك (٢) وقد نسخ الجندي (٣) موجزها · وفيها أن عبد الله ابن ميمون كان يهوديا من ولد الشلعلع من سلمية · وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع الاديان وكان صائغا خدم اسماعيل بن جعفر الصادق ، وكان حريصا على هدم الشريعة المحمدية فلم ير وجها يدخل به على الناس حتى يردهم عن الاسلام الطف من دعوته الى أهل بيت رسول الله فتظاهر بالتشيع وأنشأ

---

(١) الخلافة الفاطمية ٣٢ ـ ٣٤ ـ انظر أيضا بيكر :
Beitrage 1 - , 5 - 8

(٢) ١٧ وما بعدها ·

(٣) كى ١٤٠ ، الترجمة ١٩٢ ·

ناموسا من افكار وعقائد الحادية · وهو الجد الحقيقي للخلفاء الفاطميين · وعلى هذا فان نسبهم ينتهي الى اصل يهودي ·

٢ ـ والرواية الثانية في مصادر عديدة وخلاصتها أن الحسين ، أحد ولد القداح ، لما أقام بسلمية تزوج من ارملة يهودي حداد ولم يكن له ولد فتبنى ابنا من زوجها اليهودي وكان اسمه سعيدا ورث ادعاءاته للامامة ثم أصبح الخليفة الفاطمي الاول · وهذه القصة يرويها ابن شداد (١) وتنسب أيضا الى القاضي عبد الجبار البصري (٢) ·

٣ ـ كان جد سعيد ابن أمة لجعفر الصادق ، أحبها يهودي فحملت به منه (٣) ·

٤ ـ قتل سعيد في سجن في سجلماسة فأخفى أبو عبد الله الداعي هذه الحقيقة لئلا تضيع جهوده ونصب مكانه عبدا يهوديا ونادى به خليفة (٤) ·

لقد لاحظ غولدزيهر (٥) ميلا عاما للنسابين المسلمين الى أن ينسبوا أصلا يهوديا لاولئك الذين يكرهونهم لسبب ما · وعلى هذا فلا يصح ان يكون لهذه الافتراضات في الروايات الاربع اساس تاريخي حقيقي وانما هي محاولة للحط من العائلة · ولم تكن لتفاصيلها أهمية ولكن الشيء الجوهري فيها هو اتهام الفاطميين بانهم من اليهود ·

ويسهل علينا فهم وجهة النظر هذه اذا عرفنا مكانة اليهود

---

(١) المقريزي : كاترمير ١١٥ ، فانيان ٥٦ ـ دو ساسي 1, Intro., 452. ـ ابن الاثير ٨/٢٧ ـ ٢٨ ـ أبو الفدا ٢/٣٠٩ وما بعدها ·

(٢) النجوم الزاهرة ٢/٤٤٤ و٨٦ ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ٣ ·

(٣) البيان المغرب ١/١٥٨ ·

(٤) المقريزي : كاترمير ١٠٨ ـ قارن ابن خلكان ١/٣٤٢ ، الترجمة ٢/٧٧ ، اذ فيه القصة نفسها ولكنه لا يذكر ان العبد يهودي ·

(٥) Muh, Studies , 1, 204 .

غير المعتادة التي تمتعوا بها في عهد الخلافة الفاطمية ، فقد التف حول المعز في افريقية جماعة منهم يؤيدون ادعاءاته ويناصرونه في اعماله (١) . واعمال اليهود امثال ابي الفرج يعقوب بن كلس وزير المعز والعزيز والاخوين ابني سهل التستري ، وصدقة الفلاحي واخرين ـ اثناء حكم المستنصر المديد ـ مشهورة معروفة . وقد سبب هؤلاء موجة من الكراهية والتعصب على اليهود ظهرت باشكال مختلفة (٢) . وليس من المصادفة ان يكون ابن مالك ، وهو اول من اختلق النسب اليهودي للفاطميين قد عاش في ايام المستنصر حين بلغ النفوذ اليهودي اقصاه قال ابن مالك ، والدليل على انهم من ولد اليهود استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم اليهم تدبير السياسة وهم مازالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين واموالهم وذلك مشهور يشهد به كل احد (٣) » .

أما فيما يتعلق باشخاص ونشاط الدعاة المختلفين الذين لهم علاقة بالدعوة الاسماعيلية فالمعروف عنهم قليل جدا . واول ما يتبادر الى الذهن من هؤلاء هم عبدان (٤) وحمدان قرمط واحمد الكيال . وقد عرفنا شيئا يسيرا جدا عن هؤلاء بفضل المعلومات الجديدة التي عثر عليها . ولسنا نملك ما يستحق الذكر لنضيفه الى دراسات دو خويه وماسينيون لهم ، ولكن بين الدعاة واحدا حامت حوله الشكوك والاوهام فمن المستحسن ان نقف عنده وقفة قصيرة للدور الهام الذي ينسبه اليه كثير من كتب السنة ـ ذلك هو دندان .

---

(١) Fishel, Jews 1., 51

(٢) المصدر نفسه ٨٨ .

(٣) ص ١٩ .

(٤) يزعم صديق لي اسماعيلي أن لديه كتبا عدة من تاليف عبدان . انظر عن عبدان في الرواية الاسماعيلية ايفانوف : Guide, 31

٥ ـ دنـــدان

لقد لاحظنـا ونحن نبحث في عبد الله بن ميمـون ، بعض ملاحظات أهل السنة الرئيسيـة عن دندان · وفيمـا يلي مجمـل كلامهم عنه (١) ·

كان محمد بن الحسين الملقب بدندان (٢) رجلا ثريـا عاش بنواحي كرج (٣) واصفهان ، وكان من كتاب أحمد بن عبد العزيز ابي دلف المتوفى سنة ٢٨٠ هـ = ٨٩٣ م (٤) · وكان هذا الرجل فارسيا شعوبيا شديد الكراهية للعـرب ، فسمـع به عبد الله ابـن ميمون واجتذبه الى حركته المناوئة للعرب ، فظاهره عليها وأيـده واعطاه مليوني دينار انفقت على الدعوة لهذا المذهب ، وجعلـه وريثا له · ويقول البغدادي ان دندان اجتمع بعبد الله بن ميمون في سجن في العراق وأسسا فيه مذهب الباطنية ثم نشراه بعـد خلاصهما منه ، وابتـدأ دندان بالدعـوة من جهة الجبل فدخل في دينه كثير من الاكراد ·

---

(١) الفهرست ١٨٨ ـ ابن الاثير ، المجلد الثامـن ـ المقريزي : كاترمير ١٣٢ ـ دو ساسي : 1, Intro., 442 ـ البغدادي ٢٦٦ ، الترجمة ١٠٨ ـ مختصر الفرق ١٧٠ ـ ابـو المعالي ، طبعة اقبـال ، ٣٦ ـ (Masse, 57 Shefer, 158) ـ عبد الجبار ، ورقة ١٣٧ ف ·

(٢) في بعض الاحيان يسمى زيدان او نيدان او بندار ·

(٣) في بعض النصوص (كرخ) ·

(٤) الفهرست فقط ·

وتذكر المصادر أسماء كثيرة مختلفة لجد دندان ، فعند المقريزي(جهان بختار) وعند النويري دو ساسي (حيان النجار) وعند عبد الجبار (جهار بختان) ، وقد لا يكون من الرأي الجزاف اذا قلنا بأن هذه الاسماء تصحيفات لاسم فارسي غير مألوف عند المؤلفين العرب وأن أصله (جهار لختان) المذكور في أبي العالي وهو ثالث الثلاثة : دندان وعبد الله بن ميمون ، الذين أسسوا الفرقة الباطنية . وكان جهار لختان ، على ما يقول أبو المعالي ، هو الرجل الذي أمدها بالمال .

ومما يلاحظ في هذه الروايات المختلفة أنها تنطوي على شيء من التضارب الاكيد ، لانه اذا كان دندان كاتبا لاحمد بن عبد العزيز المتوفى سنة ٢٨٠ هـ = ٨٩٣ م فانه لا يمكن أن يكون صاحبا لعبد الله بن ميمون . ويزيد هذا التضارب ارباكا عبارة أبي المعالي التي تجعل دندان وجهارلختان متعاصرين .

ولحسن الحظ أن بين أيدينا شذرات عن دندان في كتب الشيعة الاثني عشرية توضح بعض هذه الصعوبات . فقد جاء فيها (١) بأن دندان أبو جعفر أحمد بن الحسين بن سعيد بن حماد ابن سعيد بن مهران ، كان مولى علي بن الحسين وكان من الاهواز روى الحديث عن شيوخ أبيه . وكان غاليا متطرفا في الهرطقة مطعونا في روايته،ألف كتب عدة منها كتاب الاحتجاج وكتاب الانبياء وكتاب المثالب وكتاب المختصر في الدعوات . وقد مات في قم ودفن فيها . أما والده فكان رواية موثقا حدث عن علي الرضا المتوفى سنة ٢٠٢هـ ٨١٧م . وعن محمد الجواد المتوفى سنة ٢٢٠هـ

---

(١) الطوسي ٢٦ ، ١٠٤ ـ ابن شهر اشوب ١ ، ٣٥ ـ منهاج المقال ٣٤ ، ١١٣ ـ الذريعة ٢٨١ .

٨٣٥ م • وعن الهادي ٢٥٤ ـ ٨٦٨ • وكان أصله من الكوفة وأقام في الاهواز زمنا ولد له فيها احمد ، ثم فارقها الى قم وتوفى فيها وقد الف ثلاثين كتابا في الدين (١) •

فبالنظر الى شواهد الشيعة الاثني عشرية هذه يجب علينا أن نرفض تلك العبارات السنية المتطرفة في دندان ، والمحاولة التي تريد أن تجعله معاصرا لعبد الله ، فهو كما يرى ماسينيون (٢) **من أتباع عبد الله ومن الموالين لحركته وليس من أصحابه في حياته** • وقد توفي حوالي منتصف القرن الثالث الهجري •

ومن الغريب أنك لا تجد لاسمه أو لمؤلفاته ذكرا عند الاسماعيليين •

وهناك مسألتان يحسن بنا أن نشير اليهما بايجاز ، اولاهما اشارة النويري الى زكرويه بالدنداني ، اي من نسل دندان والثانية حشر غالبية مصادرنا السنية والاسماعيلية بين اجداد الداعي اليماني الشهير ابن حوشب شخصا اسمه زادان او دادان الذي تحقق لدى دو ساسي أنه دندان ذاته •

(١) قائمتها في الطوسي ١٠٤ ـ ١٠٥ •
(٢) Esquisse , 3

٦ ـ الائمة المستورون

والآن نستطيع ان نعود الى الائمة المستورين أنفسهم ٠ لقد ناقشنا في الفصل السابق الشيء القليل المعروف عن اسماعيل وعنينا ببعض ما روي عن محمد بن اسماعيل في الصفحات الاولى من هذا الفصل ، ويمكننا الآن ان نضيف له شيئا قليلا وجدناه في مصادر اخرى ٠

يقول رشيد الطوسي (١) بأنه لما توفى اسماعيل « هجر محمد العراق ونزل الري ومنهـا ذهب الى دماوند وهـي قرية في (؟) ٠ سملا ٠ وأن مدينة محمد أبـاد في الري سميت باسمه ٠ وكان له ابناء عدة في الستر أقاموا في خراسان وتخوم قندهار في السند حيث هاجم دعاتهـم المدن واستمالوا أناسا من أهلهـا الى فكرتهم ٠٠٠ » ٠

ويؤيد دستور المنجمين (٢) بعض ما جـاء في هذه الرواية فينكر بأن محمدا وجد ملجأ في الهند ، ويعدد أسماء اولاده ٠

وقد لاحظنا ما جاء في غاية المواليد من وصاية ميمون وتبنى محمد لعبد الله بن ميمون ٠

---

(١) Levi, 516 and 522

(٢) دو خويه ٢٠٢ ٠

ما زالت سلسلة الائمة بين محمد بن اسماعيل وسعيد - مهدي مشكلة من أعقد المشاكل في التاريخ الاسلامي ، فالمؤرخون السنة يروون لها روايات عدة مختلفة ، والاسماعيليون وغيرهم ممن يعترف بحق الفاطميين الشرعي لا يبدو أنهم متفقون فيما بينهم عليها . وقد بحث كثير من القدماء هذه المشكلة وناقشها نقاشا دقيقا ، وحققها دو خويه وبلوشيه من المحدثين . ولا اريد أن أدخل في تحقيق مفصل للانساب المختلفة المروية . والظاهر أننا نستطيع أن نتلمس مفتاح المشكلة في عقائد التبني الروحاني والامامة المستودعة التي بحثناها في أول فصلنا هذا .

ومن الممكن أن نرسم على ضوء هذه العقائد والقوائم التي رواها لنا المؤرخون شجرتين للائمة المستورين لا شجرة واحدة : اولاهما للعلويين أو المستقرين . وهم ابناء علي روحانيا وجسمانيا ، وثانيتهما للقداحين المستودعين ، وهم العلويون بالتبني الروحاني فقط . ولاشك أن الاضطراب الملحوظ في كتب أنصار الفاطميين وأعدائهم انما نشأ من الخلط بين هاتين الشجرتين .

وفيما يلي الشجرتان النسبيتان ، نرسمهما معتمدين على كتب الدروز ، وعلى غاية المواليد .

١ ـ العلويون ، أو المستقرون :

محمد بن اسماعيل
أحمد
الحسين
علي (المعل)
محمد (القائم) (١)

---

(١) غاية المواليد .

٢ ـ القداحون او المستودعون :

ميمون
عبد الله
محمد
الحسين
أحمد
سعيد (١)

ومن هاتين الشجرتين نستطيع أن نفهم شجرة السماوات السبع الواردة في الرسالة الدرزية تقسيم العلوم (٢) ٠ وهي كما يلي :

١ ـ اسماعيل
٢ ـ محمد
٣ ـ أحمد
٤ ـ عبد الله
٥ ـ محمد
٦ ـ الحسين
٧ ـ أحمد (والد سعيد) (٣)

ويعتبر هؤلاء ـ عدا الثلاثة الاول ـ (من ولد القداح) فهم ائمة مستودعون ، أما سائرهم فعلويون مستقرون ، وهم أسلاف الخلفاء الفاطميين من علي المعل ٠ وقد سببت الرابطة الروحية بين

---

(١) دو ساسي ١/٨٥ ٠
(٢) مخطوط رقم ١٤١٥ ورقة ١١٧وما بعدها دو ساسي ٢/٥٧٨ ٠
(٣) « يسمى اجداد سعيد بالخلفاء المستودعين » وقد اساء دو ساسي فهم هذه العبارة ٠

هاتين الشجرتين ارتباك الكتاب المتأخرين وخلطهم بينهما فكانت اختلافات واسعة في الانساب · وقد تجلت الحقيقة لمؤلف دستور المنجمين فاقتصر على ذكر ثلاثة أئمة مستورين بعد محمد ابن اسماعيل ، وهم الرضي والوفي والتقي · وليست هذه الاسماء أعلاما بل هي ألقاب يقرنها الاسماعيليون بأحمد والحسين وعلي الواردين في شجرتنا المذكورة سابقا (١) ·

---

(١) دو خويه ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ·

٧ ـ الدعـــوة

أصبح تطور الدعوة وانتشارها والثورات المسلحة التي قام بها انصارها في مختلف انحاء الخلافة شيئا معروفا عندنا · وقد اشبعها بحثا ، عدا الدعوة في اليمن وشمال افريقية ، دو خويـــه وآخرون غيره · ولم يبق علينـا الا أن نضيـف موجزين مسألة أو مسألتين أخريين ، وأن نشير الى الصلات التي كانت بين الحركات الاقليمية المختلفة والتنظيم المركزي ·

١ ـ حركة الهلال الخصيب :

نكاد نجزم بأن حركة الهلال الخصيبما بين سنتي ٢٨٩ و ٢٩٤هـ (٩٠١ ـ ٩٠٦ م) وما سبقها من سني التهيؤ والاستعداد انما هي جزء من الدعوة الاسماعيلية يصرفها الامـــام المستور وتعمل في سبيله · فالطبري (١) يقول ـ وان لم يدرك مغزى عبارته ـ بـــأن زكروية (٢) وأبناءه زعموا بأنهم من ولد محمد بـــن اسماعيل وانهم مهديون وأئمة ، ويذكر بأن يحيى بن زكروية أدعى بأن له أتباعـا في افريقية · ويروي ثابت (٣) الخطبة التي القيت في حمص بعدأن

---

(١) ٢٢١٨ · ويؤكدها ثابت ·

(٢) الطبري ٢٢١٨ ، ويذكر ايضا في صفحـة ٢٢١٩ و ٢٢٥٧ بأن قرامطة الشام يسمون أنفسهم الفاطميين ·

(٣) ١٤ ·

احتلها يحيى الشيخ سنة ٢٩٠ هـ ٠ وها هي ذي بحروفها (اللهم امدنا بالخليفة الوارث المنتظر المهدي صاحب الوقت أمير المؤمنين المهدي اللهم املأ الارض به عدلا وقسطا ودمر اعداءه ـ اللهم دمر اعداءه (١)) ٠

وطابع الاسماعيلية ظاهر على هذه العبارة بوضوح ٠ ولما كان من المعروف أن الائمة المستورين كانوا مقيمين في سلمية في اثناء هذه الفترة فمن المستبعد جدا أن تحدث مثل هذه الحركة دون اشتراكهم فيها ٠ وعلى هذا يمكن أن نتقبل رواية ابن رزام ومن تابعه بأن القداحين أرسلوا الدعاة ، أول ما أرسلوهم الى العراق وسوريا ٠ اما زكروية وابناؤه ، فاما أن يكونوا قداحيين او أن الائمة ـ وهو الارجح ـ قد خولوا لهم التسمي بالامامة ليجسوا النبض ويميطوا العقبات الاولية (٢) ٠

٢ ـ الحركة اليمانية والمغربية :

ما زال تاريخ الدعوة في افريقية في حاجة الى التسجيل ، وقد حظيت هذه الدعوة بوثائق ومستندات لم يحظ بها غيرها بفضل نتائجها الباهرة وطول حياة الفرقة الاسماعيلية في اليمن ٠ ولا تزال مصادر غنية سنية وزيدية واسماعيلية تنتظر من يؤرخها ، وسنقصر جهدنا الآن على تبيان أن الدعوة في اليمن كانت منذ بدايتها حتى نهايتها على اتصال وثيق بالائمة أنفسهم ولم تنشق عن الفرقة الاسماعيلية الرئيسية في حال من الاحوال ٠ والمصادر

---

(١) في الاصل (اعداؤه) ٠

(٢) لاحظ مثال الداعي الترمذي ـ الهمداني في مجلة الاسلام ٢٠/٢٩٢ ـ ٣

الاسماعيلية تحدثنا باسهاب عن ارسال الامـــام نفسه الداعيين علي بن الفضل وابن حوشب اليها وهنـــاك كثيـــر من التفاصيـــل والاساطير التي تصف لنا اجتماعهما التاريخي بالامام ونشاطهما في البلاد التي انفذوا اليها (١) ، واني لآمل أن أعود الى هذا والى تسرب الدعوة من اليمن الى افريقية في فرصة أخرى ·

أما الدعوة في البحرين فتحتاج الى فصل خاص ·

---

(١) المصدر الاسماعيلي الرئيسي هو افتتاح الدعـــوة للقاضي النعمان (ايفانوف : Guide,)

٦ ـ قرامطة البحرين

يبدو من بحوث غالبية مصادرنـا ان قرامطة البحرين يكونون حركة مستقلة تختلف عن طوائف الدعوة الاسماعيلية الاخرى من وجوه عدة ،فقد كان لهم رؤساء محليون وتقاليد محلية تميزهم ، وتاريخ مستقل · ثم اصبحت لهم في العهود المتأخرة تنظيمات محلية خاصة ·

وتاريخ هذه الجماعة الظاهري معروف الى حد ما وليس لدينا الا شيء قليل نستطيع ان نضيفه الى دراسات دي خويه في هذا الموضوع · وغايتنا في هذا المقام أن نحقق في علاقة هذه الجماعة بالدعوة الفاطمية الاسماعيلية المركزية · فابن رزام ومن يؤكد مع من تبعه على وحدة الحركتين ، والمؤرخون المسلمون المعاصرون كالطبري وعريب ثابت وآخرين غيرهم لا يقفون موقفا جليا من هذا الموضوع · أما تراث الاسماعيلية الحديث فانه ينكر كل اتصال بينهم وبين القرامطة انكارا شديدا (١) ·

ظل اسم عبد الله واسم أبيه ميمون القداح مقترنين بالقرامطة زمنا طويلا · وافترض انه اذا اثبتت الصلة بين هذين الرجلين وبين الاسماعيلية قلم الدليل على وحدة الحركتين ·

---

(١) ايفانوف، · .Guide ص ١ ، ملاحظة ١ ، وص ١٥ ملاحظة ١ ·

وقد قبل ايفانوف (١) الافتراض الاول وهو كون الرجلين من القرامطة ورفض ، في سياق نكرانه وحدة الحركتين ، كل اتصال بين العائلة القداحية والاسماعيليين • أما نحن فقد لا حظنا ان ميمون القداح وابنه كانا ـ على العكس ـ من الرؤساء البارزين للدعوة الاسماعيلية الرئيسية ، ولم يبق ما يحتاج الى برهان الا علاقتهما بقرامطة البحرين لان جميع من أرخ للقرامطة من قدماء المؤرخين ، عدا ابن رزام ، لا يذكرون اسميهما أبدا (٢) •

اذن فالمسألة يجب أن تطرح على وجه آخر وأن تبحث على ضوء افتراضات جديدة ، اذ ليس لنا ان نبحث كما فعل دو خويه وماسينيون وايفانوف : أكانت لميمون القداح القرمطي علاقة بالاسماعيلية أم لم تكن ؟ فالثابت أن ميمون القداح كان أحد مؤسسي الاسماعيلية • بل يجب علينا ان نبحث أكان للقرامطة علاقة ما بالحركة الاسماعيلية التي كان ميمون القداح أحد اقطابها أم لم تكن •

الاصول :

ان اول ما يجب أن نبدأ به في صدد التحقيق في العلاقة بين الحركتين هو أصول القرامطة ـ كيف ابتدأت دعوتهم في البحرين؟ ومن موجدها ؟ وعلى اي العقائد قامت ؟

وبين يدينا في هذا روايات كثيرة متناقضة ، فلنذكر اهمها فيما يلي :

(١) Guide, 15

(٢) أنظر الطبري ، المسعودي ، عريب ، حمزة ، ثابت ، مسكويه ••• الخ في مواضع متفرقة •

(١) فعند **ابن حوقل** (١) : انفذ حمدان قرمط أبا سعيد الى البحرين وأمره بالدعوة بعد ان وقف على اخلاصه وحسن سياسته فكان موجد الحركة هناك · وكانت هذه الحركة نفسها حركة زكروية في العراق التي أوكلها اليه عبدان ، صهر حمدان قرمط وصاحبه الاقرب · ويمكننا أن نضيف الى هذه الرواية التي اعتمد عليها دو خويه اشارة وردت في الطبعة الحديثة تذكر بأن ابا زكريا الطماميكان احد اقطاب الدعوة في (٢) البحرين ·

(٢) وعند **ثابتبن سنان** : كان اول داع في البحرين يحيى بن المهدي رسول الامام ، وكان ابو سعيد من اهل البحرين ، احد من صبا اليه ·

(٣) وعند **ابن رزام** (٣) ارسل ابو سعيد كداع الى البحرين ولكن سبقه اليها أبا زكريا الصمامي (او الطمامي) الذي أنفذه اليها عبدان · وكلف ابو سعيد بقتل ابي زكريا ...

(٤) وعند **عبد الجبار** (٤) ارسل الامام الى البحرين داعيا (لم يسمه) فاتبعه قوم من أهلها منهم أبو سعيد ، فاضطر أبو سعيد أن يفر هو وصاحب له يدعى يحيى بن علي (الداعي ؟) ولكنهما حشدا قوة كبيرة وعادا منتصرين · وكان ممن أنضم الى ابي سعيد حمدان وعبدان ، وكان معه في البحرين الداعي يحيى الطمامي وقد قتله اخيرا وتولى الزعامة بنفسه وادعى أنه ممثل

---

(١) ٢١٠ ، الطبعة الجديدة ٢٧ ·
(٢) المخطوطة ص ٦ وما بعدها · وذكرها ابن الاثير ٧/٢٤٠ وما بعدها · ومنه استفاد دي ساسي (1 Intro., 211 ff.) ودي خويه ص ٣٤ ·
(٣) ساسي 1, Intro., 214
(٤) ١٤٤ الصفحة الاولى ·

الامام المهدي الذي وعد بظهوره عام ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م · وهو الامام محمد بن عبد الله بن الحنفية ؛

(٥) وعند **النوبختي** (١) : ان القرامطة ـ وسموا كذلك نسبة الى مؤسس نحلتهم ـ فرقة انفصلت من المباركية · وعلى هذا فهم اسماعيليون منفصلون ، وهم يختلفون عن الاسماعيلية الخالصة في جعلهم محمد بن اسماعيل هو المهدي والقائم والخالد ، وعلى هذا فهم لا يقرون بمن خلفه من الائمة المستورين ·

واظن اننا نستطيع بعد الذي جد من المعلومات في هذا الشأن ، وهي الاشارة الى ابي زكريا الطمامي في الطبعة الثانية لكتاب ابن حوقل ـ وقد اغفلها دو خويه في الطبعة الأولى ـ ومخطوطة ثابت التي ترجع برواية ابن الاثير الى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وبينة عبد الجبار الجديدة ، وأقول اننا نستطيع بعد ظهور هذه المعلومات ان نرفض استنتاج دو خويه وأن نقرر ما ياتي :

(١) ان يحيى بن المهدي وابا زكريا الصمامي (او الطمامي) ويحيى الصمامي وربما يحيى بن علي ايضا كلهم **شخص واحد** ، قد يكون اسمه الكامل **ابا زكريا يحيى بن المهدي الطمامي (او الصمامي)** ·

(٢) ان هذا الشخص كان معاصرا لابي سعيد وربما كان سلفه وليس هو زكريا الفارسي (٢) الذي ظهر في البحرين في اثناء حكم ابي طاهر · والخلط بينهما انما هو عمل المؤرخين المتاخرين ·

---

(١) ٥١ وما بعدها · كذلك المجلسي ٩/١٧٥ · انظر الفصل الاول ·

(٢) عند عبد الجبار ، زكريا الاصفهاني المجوسي ، وعند ثابت : الاصفهاني · أنظر دو خويه ١٢٩ ـ ١٣٦ ·

اما أن أبا سعيد قد أنفذ الى البحرين من قطر آخر أو انه من أهلها فصبا الى القرامطة هناك ، فذلك ما لا نستطيع أن نجزم بـه لتضارب الادلة · فلنترك بـاب هذه المسألة مفتوحـا حتى تظهـر مصادر أخرى نستعين بها ·

والمسألة ذات الاهمية الكبرى والخطورة العظمى هي ما حكم به عبد الجبار ، وهي ان الامام الذي قاتل من اجله قرامطة البحرين الاولون كان من سلالة محمد بن الحنفية · فكانت هذه العبارة حجة قوية لفرضية كازانوفا (١) في ان الفرقة القرمطية حنفية في الاصل ثم صبأت كلها الاسماعيلية · وهناك شاهد اخر يدعم هذا الافتراض في كتاب قرمطي نقله الطبري (٢) وثابت (٣) وابـن الاثيـر (٤) وآخرون فيه عقائد ذات صبغـة حنفيـة ظاهـرة ، اذ فيـه ابتهال الى محمـد بن الحنفيـة ومناداة بامـام حنفي · وهذا الكتـاب لا يمكن ان يشيـر الى الدعـوة في البحريـن وذلك للادعـاءات الاسماعيلية التي ينسبها الطبـري نفسه الى قـرامطـة الهـلال الخصيب · ويعترض هذا رواية النوبختي وهـو مـؤلف واسـع الاطلاع في الفرق الشيعية اذ يقول بأن القرامطة كانوا على مذهب المباركية ، ثم خالفوهم فهم جماعة اسماعيلية منشقة ·

ان تناقض البينات يعود فيخلق معضلة أخرى مغلقة يصعـب علينا أن نجد لها حلا صحيحا · وان الكتب الاسماعيلية لا تعيننا في هذا الشأن الا قليـلا · ففي كتـاب افتتـاح الدعوة للقاضي

....

(١) La Doctrine Secréte : ٣ وما بعدها ·
(٢) ٢١٢٨ ـ ٢١٢٩ ·
(٣) ٤ ـ ٦ ·
(٤) ٧/٣١١ وما بعدها ، وترجمتها في دو صاي Exposé , 1, Intro., 178

نعمان (١)-عبارة موجزة تذكر بأن منصور اليمن وجه داعيا من صنعاء الى البحرين · ثم لا يزيد عليها ، ومما يجدر ذكره ان قرامطة البحرين لم يتخلوا زمنا ما عن الائمة العلويين او الاسماعيليين كما فعل قرامطة سوريا مثلا · ولم يكن لهم عند مؤرخي الاسماعيلية ذلك المقام الذي يتوقعه الانسان من فرقة في هذه الاهمية · وقد تكون لهذا الاغفال أسباب أخرى كما سنرى ·

علينا أن نتمهل برهة ونحن غير واثقين من اصل قرامطة البحرين أاسماعيلي هو أم حنفي ؟ فكلتا روايتينا تتفقان على اعتبارهم فرقة منفصلة متميزة عن الدعوة الاسماعيلية الخالصة ولكن ـ لدينا أسسا قوية تدعو للاعتقاد بأن القرامطة قد دخلوا في القضية الفاطمية في عهد ما ، قد يكون حوالي بداية القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) · ونستطيع الآن أن نختبر الادلة التي تدعم هذا الامر بايجاز · وان نذكر بهذه المناسبة بأن الالتآم المزدوج ـ يساعدنا في تفسير غموض مصادرنا في اصول الدعوة ·

---

(١) ورقة ١٥ ، واقتبسها المقريزى ، انظر المقريزى : كاترمير ١٣١ ، فاينان ٤٧ ·

٢ ـ العلاقات مع الفاطميين

أ ـ التشابه :

ان اقدم مصدر يؤيد وحدة الفاطميين والقرامطة ، او التعاون بينهما على الاقل هو كتاب الصائبي **ثابت بن سنان** · وهو لا يكاد يتهم بالتحامل او بمحاولة الحط من الفاطميين بحشرهم مع الفرق الهرطقية المارقة كالقرامطة مثلا ، لانه لم يبدلهم عداوة ما فلم يظهر شكا في الحق الشرعي لعبيد الله الذي يطلق عليه العلوي الفاطمي دائما ، ولم يؤكد على وحدة الجماعتين تأكيدا مقصودا · وبينته ضمنية غير مباشرة · فهي لذلك اكثر اقناعا ·

وأولى عباراته (١) ما يذكر من استنطاق الوزير علي بن عيسى رجلا بغداديا متهما بالخيانة ومكاتبة ابي طاهر القرمطي · احضره وسأله فاعترف بأنه يؤمن بأن طاهر وفرقته على حق ، وقال « أنت وسيدك الخليفة كفار تأخذون ما ليس لكم ولا بد لله من حجة في ارضه ، وامامنا المهدي محمد بن فلان بن فلان بن محمد ابن اسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب ··· الخ » ·

وروى ابن الاثير (٢) هذه القصة نفسها تقريبا ، ورواها ابن

---

(١) ٤٣ ·
(٢) ١٢٧/٨ ·

مسكويه (١) باختلاف يسير ، ويبدو أن مسكوية قد اعتمد على غير مصدر ثابت بن سنان ٠

ويذكر ثابت (٢) في حوادث سنة (٣١٥ هـ = ٩٢٧ م) سعاية محمد بن خلف وزير ابن ابي الساج بسيده واتهامه اياه بالقرمطية ٠ وصيغة التهمة مهمة وهي « انه (ابن أبي الساج) قرمطي يعتقد امامه العلوي الذي بأفريقية » وهي اشارة واضحة الى عبيد الله (٣) وقد ذكر هذا الحادث ابن الاثير وابن مسكويه (٤) وعند الثاني أكثر تفصيلا « فكشف (ابن ابي الساج) له أنه يتدين بأن لا طاعة عليه للمقتدر ، ولا لبني العباس على الناس طاعة ٠ وان الامام المنتظر هو العلوي الذي بالقيروان ، والذي أبو طاهر القرمطي أحد اتباعه ٠ وان ابن خلف واثق من ان رئيسه قرمطي خالص ، وان هذا هو السبب الذي جعله يتخذ الامام العلوي (عبيد الله) صديقا له ومؤتمنا لاسراره » ٠ ثم نكر أن أبا الساج قال أخيرا « وقد رد عليه (علي ابي طاهر) كتاب الامام في القيروان بأن لا يطأ بلدا أكون فيه » ٠

ويوجز ثابت (٥) في حوادث سنة (٣١٧ هـ) هجوم القرامط على مكة واقتلاع الحجر الاسود فلما بلغ ذلك أبا عبيد الله العلوي الفاطمي بأفريقية الشمالية كتب اليه (الى ابي طاهر) ينكر عليه ذلك ويلومه ويقيم عليه القيامة ويقول « قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد بما فعلت » وأمره في

---

(١) تجارب الامم ، الجزء الاول ص ١٨١ ـ ١٨٢ ٠
(٢) ٤٤ ٠
(٣) ١٢٩/٨ ٠
(٤) تجارب الامم ، الجزء الاول ص ١٦٧ ـ ١٦٨ ٠
(٥) ٤٨ ٠

الكتاب بأن يعيد الحجر الاسود الى موضعه فأعاده وان كان بعد سنتين . ورأى هذا الكتاب ابن رزام (١) وابن الاثير (٢) أيضا . وقد نقله الثاني عن ثابت نقلا يكاد يكون حرفيا .

ويذكر في (٣) حوادث سنة (٣٦٣ هـ) (٤) عن هجوم القرامطة على مصر وعن الكتاب الذي ارسله الخليفة الفاطمي المعز الى رئيس القرامطة عارضا فيه ادعاءاته ومذكرا اياهم بان دعوتهم كانت له وان جهادهم كله كان في سبيله وفي سبيل اجداده . ونص هذا الكتاب كاملا عند (أخو محسن) ـ والمقريزي (٥) والنويري ، (٦) وهو وثيقة ذات صبغة اسماعيلية ولا يتطرق الشك اليه لمعاصرة ثابت للخليفة الفاطمي .

وهناك بينة أقوى تأكيدا للصلة بين القرامطة والفاطميين نجدها في رسالتين درزيتين نقلهما دو ساسي (٧) أولاهما السيرة المستقيمة بشأن القرامطة (٢) لحمزة الاصفهاني ويعود تاريخها الى سنة (٤٠٩ هـ = ١٠١٨ م) يقول فيها مؤلفها بعد أن يصف تأسيس الدعوة في هجر (البحرين) من قبل رجل اسمه شاتنيل بن (آدم الدرزي) ما يلي :

---

(١) النويرى : مخطوط في باريس ، ورقة ٧ ـ ٨ ف .
(٢) ٨/١٥ ـ دو ساسي : 1, Intro., 220 .
(٣) ٥٢ .
(٤) وهو يسرد الحوادث كما وقعت .
(٥) الاتعاظ ١٣٣ .
(٦) دو ساسي : 1, Intro., 227
(٧) المصدر نفسه ص ٢٤٠ .
(٨) المخطوطة في باريس رقم ١٤٠٨ ورقة ٧٤ وما بعدها ـ المقتبس ١٩١٠ ، ٥/٣٠٤ ـ ٣٠٦ ـ دو ساسي ٢/١١٢ وما بعدها .

« يذهب أهالي الاحساء عادة الى صرنا (هجر) ليبيعوا ويشتروا ، فجاء الى صرنا رجل من علماء الأحساء اسمه صرصر فأدخله أحد الدعاة في مذهبه وأخذ عليه العهود والمواثيق وجاء به الى ادم الذي هو شاتنيل فعينه آدم داعية للأحساء وما جاورها فانطلق صرصر الى الأحساء وما يتبعها وأخذ اليمين من قوم كثيرين وأوصاهم أن يخلصوا لعقيدة وحدانية مولانا وعبادته ويعترفوا بشاتنيل وامامته ويكفروا بابليس وأتباعه وقال لهم : (اذا دخلتم هجر فقرمطوا أنوفكم على أهلها لان فيها رجلا اسمه الحارث بن ترماح الاصفهاني له أتباع كثيرون ثائرون جميعهم على مولانا العليم ، ولا يعتقدون بأفضلية الامام ، ولا تحدثوا أحدا من اهلها عن الدعوة الا الذين معكم في حضرة الحكيم شاتنيل) • فاستجابوا لصرصر واطاعوا ما أمرهم به ، وتظاهروا كما قال لهم بالقرمطة ، فسموا بالقرامطة واتسموا بها الى الآن •

وانتشر هذا الاسم في أهالي خراسان وفارس وصاروا اذا وصفوا رجلا بالتوحيد (١) قالوا : هذا قرمطي ، ومن هنا أطلق اسم القرامطة على الاسماعيلية • وقد كان أبو طاهر وسعيد وآخرون كثيرون دعاة مخلصين لمولانا ، خدموه وعرفوا وحدانيته واجلاله وعظموه واعتقدوا انه ليس له روابط مشتركة مع خلقه • وقد أنعم عليهم المولى بلقب « سيد » وعملوا ما لم يعمله غيرهم من الدعاة في نشر عقيدة التوحيد وقتلوا من المشركين أكثر مما فعل غيرهم • ولكن مولانا لم ير اظهار نفسه بينهم لعلمه أن ذلك يوقع الخلاف بينهم حتما وتضيع عقيدة التوحيد فينتشر الضلال ويتبع أطفال بني عباس أهواءهم فيسقطون في الخطيئة والغواية •

---

(١) هذا الاصطلاح يطلقه الاسماعيليون على أنفسهم عادة •

« ولكن يوم الظهور قريب ، وساعة اشهار السيف والثورة وتقتيل الكافرين وابادة قواتهم آتية تكاد تظهر · ولا شك في أن أهل الأحساء وهجر وفارس سيعودون الى معرفة وحدانية مولانا وعبادته كما كانوا من قبل ، سيخرون سجدا لمولانا وعظمته وسيؤمنون بأنه ليس له روابط مشتركة مع خلقه وسيصبحون حماة عقيدة التوحيد كما كان آباؤهم من قبل · وسأبعث فيهم دعاة التوحيد وأجمع بقايا الاصدقاء العبيد وسوف انتصر بسيف مولانا على كل ثائر ··· » ·

وقد أنجز ما تضمنته السطور الاخيرة ، فعندنا رسالة للمقتنع كتبها سنة (٤٣٠ هـ = ١٠٥٨ م) موجهة الى سادة البحرين وفيها يدعوهم للعودة الى مذهب التوحيد وموالاة الامام ·

ويخاطب المقتنع (١) السادة بأسوب فيه كثير من الاحترام معترفا اعترافا واضحا بوحدة الحركتين الاولى ومذكرا السادة بأعمال أجدادهم المجيدة في خدمة الدعوة · ويلومهم على ردتهم ويدعوهم للعودة ·

وشهادة هاتين الرسالتين الدرزيتين ، تعززهما بينة المصادر السنية ، لا تترك شكا في امتزاج القرامطة والفاطميين برهة من الزمن على الاقل · وليس من الصعب أن نعترف بما جاء في رسالة حمزة بصدد نشوء القرامطة في البحرين وان كان بأسلوب خرافي · أما الحارث بن ترماح فمن المحتمل انه زكريا الفارسي الذي سنتكلم عنه بعد قليل ·

ويظهر من رسالة حمزة ان اسم القرامطة قد أطلق على

(١) المخطوطة ، في باريس ، ورقة ١٦٨ وما بعدها ·

فرق البحرين بعد أن صبوا جميعا الى الدعوة الاسماعيلية بدليل اشتراكهم في الاسم مع قرامطة سوريا والعراق الذين كانوا اسماعيليين دون شك ، ومع الاسماعيلية في فارس · وفي هذه الحالة نستطيع ان نوفق بين رواية عبد الجبار ورواية النوبختي فنقبل كلام عبد الجبار السالف الذي جعل دعوة البحرين ذات طبيعة حنفية باعتباره يمثل وضع القرامطة السابق · وبهذا يكون قرامطة النوبختي انما يعني بهم دعوة الهلال الخصيب أو دعوة البحرين بعد ارتدادهم عن الحنفية · أما تحول القرمطية الاخير الى اسماعيلية خالصة فهو امر بسيط نسبيا ·

ب ـ الاختلاف :

نرى من الرسالتين الدرزيتين ان الحركتين القرمطية والفاطمية اذا كان بينهما تحالف وثيق في أول الامر فقد نشأت بينهما خلافات ذات شأن خطير بعدئذ ، ومصداق هذا نجده في مصادر اخرى ، كما نجد الفاطميين حقا ، عند احتلالهم لمصر ، في نزاع مسلح مع حلفائهم بالأمس ·

وقد حلل دو خويه (١) في بحثه عن الحروب بين المعز والقرامطة الظروف التي دفعت الفرق في البحرين الى انتهاج سياسة معادية للفاطميين تحليلا رائعا فقال بأن الدولة القرمطية قد زلزلتها سنة ٣٥٨ هـ = ٩٦٨ م أي قبيل استيلاء الفاطميين على مصر بسنين قليلة ، أزمة داخلية حادة انتهت بالثورة فعلا ، فظهرت على أثر هذا النزاع بين الاحزاب قيادة جديدة كانت مناجزة لخلفاء أفريقية الشمالية ·

(١) Mémoire, 183 ff.

هذه هي الرواية التي استطاع دو خويه أن يؤلفها من المؤرخين السنة ـ ولكنه على كل حال لم يستطع أن يجد لهذا النضال والتحول باعثا يعدو المطامع الفردية والحزازات الشخصية · أما اليوم فاننا نستطيع بما لدينا من معلومات غزيرة عن تاريخ الاسماعيلية ان نلتمس أسبابا اعمق وان ندرك الخصام الداخلي في البحرين صراعا بين الميول ـ بين الأفكار ·

يقول الدكتور الهمداني (١) ـ وهو كاتب اسماعيلي حديث : « كان النشاط الثوري الاسماعيلي في هذه الفترة الخاصة في التاريخ الاسلامي (اوائل القرن الرابع الهجري) (القرن العاشر الميلادي) يتطور تطورا تدريجيا ولكنه ظاهر ملحوظ · فبتأسيس المهدي للدولة الفاطمية في افريقيا اتخذت الحركة الاسماعيلية التي كانت تستهدف يقظة عقلية « سياسية » في الاسلام وضعا أكثر محافظة وخطورة تجاه النظم الاسلامية القائمة حينذاك · فالدعوة التي توخت تقويض دعائم الخلافة العباسية أصبحت تدافع عن ادعاءات الفاطميين · حتى اذا استكملت الدولة الفاطمية قواها واستقر سلطانها ، لمحنا في أعمال الدعاة في هذا العهد انحرافا وتحولا عن مبادئهم الثورية والمنتقلة الى التسامح فيها والتحرر منها ومماشاة الرجعية · فأصبح واجب الدعوة عندئذ أن تتولى مهمة الدفاع عن الخلافة ومساعدة الدولة معا » ·

فكان لا بد لمثل هذا التبدل الاساسي ان يثير عليهم نقمة الغلاة المتحمسين · والحق ان هناك مظاهر عدة لصدام

---

(١) بعض المؤلفين (Some Authers) .

مذهبي خطيـــر في هــذا العهد (١) · وعلى هذا فليس من الظن الاعتباطـــي أن نعزو مصادمات ذلك العهد الى التصادم الــذي كان لا بـــد منه بين أنصار مذهب الدولة الرسمي فــي افريقيــة الــذي تحور كثيرا ، وبين الدعاة الذين حافظوا علـــى تقاليـــد الدولة الثورية القديمـــة · فان هــؤلاء الذيـــن حافظوا علـى التقاليـد الثوريـــة أبوا ان يتقبـلوا التبـــدلات التي أوجـدها الفاطميون ، وان الفاطميين وجدوا الاتحاد مع القرامطة السيئـي السمعـــةِ المبغضين الى الناس كافة يحول دون سلامـــة دولتهم والاسرة الحاكمة واتساع سلطانها ·

ولهـــذا النوع من الخصام أدلة وافيـــة في مصادرنا ، كالمجادلات المذهبية بين السجزي والنسفي · وكـــان النسفـــي يمثل الفكرة الثورية تمثيلا واضحا (٢) ·

وكالذي ذكـــره النويري (٣) وابن حوقل (٤) من خـــروج الداعيين عبدان وحمدان · وقـــد أظهر دوخويه (٥) أبان بيـان النويـــري لا يصح الوثوق بـــه ، وان خروج هذين الداعييـن ان كان حدث في يوم ما فانما يجب ان يكـــون حدوثه عندمـــا نودي بسعيد ـ عبيد الله مهديـــا وقتـــل ابو عبد الله الشيعي · وعلى هـــذا فان المناداة بسعيد الذي يعرفه الداعيان أنه من ولد القـــداح مهديـا ، هي التي كشفت عنهما نقاب الوهم واهابـت

---

(١) ايفانوف : كلام بير ، الجزء الثالث عشر ·
(٢) عن هذين الداعيين أنظر ايفانوف : Guide, 33 and 35
ولكن الفرق بينهما ، على كل حال ، لم يكن جوهريـا لان النسفي ظل داعية فاطميا ·
(٣) دو ساسي :
(٤) ٢١٠ ·
(٥) ٥٩ وما بعدها ·

بهمـــا للخروج ، فقد رأينـا أن الاسماعيليين لا يعتبرون سعيدا في كتاباتهم السرية الا قداحيا وان الامام السري موجود يوشـك ان يظهـر · فالاكثر احتمالا أن قتـل ابي عبـــد الله ـ وهو في ذاته دليل على الانشقاق الداخلي الشديد في الدعوة الاسماعيلية ـ هو الـذي أفزع الداعيين وقدر انفصالهما · ولما انفصلا اوجدا ـ كما قال دوخويه ـ نوعـــا من المقاومة الاسماعيلية قامت عـلى صلات متوترة مـــع الفاطميين حتى وقع الاصطدام العلني سنة ٣٦١ هـ = ٩٧١م ·

ولا بـــد ان تكون هذه المقاومـــة التي بلغت ذروتهـــا في الصدام المسلـــح بين المعـز والقرامطة قد بدأت بعد تسلم عبـد الله الخلافـــة توا · وقد كانت ثورة الداعـي الزاهد أبي عبـد الله الشيعي وقتلـــه نذير سوء · كما أن ثورة البرابرة الزناتيين الخطيرة بقيادة أبي يزيـــد ، تلـك الثورة التي كادت تقضي على الاسرة الفاطمية ، أشعـــرت الفاطميين بالاخطـار المتأتيـة من تطبيق العقائد الاسماعيلية على النهج الثوري · فكـان الوضع ملائما لتطبيق العقيدة الشيعية ، عقيدة التقية (١) ·

فيقص لنـــا عبد الجبار (٢) في عبارة مبهمة غير واضحة في النص لسوء الحظ وضوحا تامـــا ، بأن اسماعيـل المنصور الخليفة الفاطمـي الثالث ، قد تظاهـــر بعد هزيمـة ابي يزيـد بالعـودة الى الاسلام فقتل الدعـاة ونفى بعضهـم الى اسبانيـا والى أقطـــار اخرى وقال للعامة : « من سمع منكم احدا يسب النبي فليقتله وأنا من ورائه » وقـــرب اليه الفقهـاء والمحدثين

---

(١) عن التقية انظر كولدزيهر في موضوع التقية في Z. D. M. G. LX, 213 ff.

(٢) ورقة ١٥٠ ·

واستمع اليهم وخدع العامة وادعى أن كل من كان في الدعوة ودعا الى الاباحية فانما فعل ذلك دون علم أبي أو جدي ، وخفف الضرائب وأظهر ولعا بالفقه » .

ويستمر عبد الجبار فيسرد أعمال ابي ظاهر وثورته على الفاطميين وفضحه للاسرار المذهبية وترحيبه بالدجال زكريا الأصفهاني . ويذكر عبد الجبار بأن « الدعاة أمثال ابي القاسم عيسى بن موسى وابي مسلم بن محمد الموصلي ، وابي بكر وأخيه وابي حاتم بن حمدان الرازي الكلاعي (١) وآخرين قد ماتوا أسفا وحزنا على فضح أبي طاهر للدعوة » .

وهناك حادث آخر يصور الخلافات بين البحرين وافريقية وهي مسألة الدجال الفارسي التي يحيط بها الغموض فقد ذكر ثابت بن سنان (٢) وتابعه ابن الأثير (٣) ، البحث التالي عن الحوادث التي وقعت كما يقول سنة ٣٢٦ هـ = ٩٣٧ م .

كان لابن سنبر أحد رؤساء القرامطة عدو بينهم ، يعرف بأبي حفص الشريك . فاستدعى ابن سنبر صديقا له من أصفهان اسمه ذو النون الصفوي ، ووعده ان يكشف له عن أسرار القرامطة ويسلم له الأمر كله اذا هو قتل ابا حفص ، فضمن له ذلك . فذهب الاصفهاني الى ابي طاهر واعطاه العلامات فسلم له الامر وقال : هذا الذي كنت أدعوكم اليه والامر له . فلما تمكن من الامر وثبت قتل أبا حفص وأمعن في قتل آخرين ، فخافه أبو طاهر وشك في أمره فامتحنه ووقف على كذبه ، فأعلن انه محتال وقتله .

---

(١) عن ابن حماد وأبي حاتم أنظر ايفانوف : Guide, 31 and 22

(٢) ٥٤ .

(٣) ٢٦٣/٨ .

وذكر مسكويه (١) وكتاب العيون (٢) رواية كرواية ثابت ويقصانها في حوادث سنة ٣٣٢ هـ = ٩٤٣ م ولكنهما يشيران الى انها وقعت في أثناء حياة ابي طاهر ٠

وللقصة رواية اخرى ذكرها عريب (٣) واخذ نصها البيروني (٤) وهو يسمي الفارسي بزكريا الخراساني ويذكره في حوادث سنة ٣١٩هـ = ٩٣١م ولكن عريبا لا يشير الى ابن سنبر ولا الى خصمه ٠ وعلى هذا فروايته ناقصة ٠

ويقفو عبد الجبار أثر عريب (٥) من حيث الاساس وهو وان لم يذكر التاريخ الا انه يضع الحادث بعد غزو مكة الذي حدث سنة ٣١٧ هـ = ٩٢٩ م مباشرة ٠ ويسمي الفارسي بزكريا الاصفهاني المجوسي ، ولا يذكر كذلك ابن سنبر وخصمه ٠ وقد اعلن القرامطة في اثناء حكم زكريا بأن جميع تعاليمهم السابقة عن المهدي والنسب النبوي ما هي الا لغو ٠ وكشفوا عن اسرار فرقتهم كلها ونشروا ، لأول مرة ، قصة عبد الله بن ميمون ودندان وغيرهما وخططهم في خداع المسلمين وطعنوا في جميع الاديان ، واحرقوا الكتب الدينية كلها ونادوا بزكريا الها واستحلوا المحرمات ولكنهم ندموا أخيرا وقتلوا زكريا وقلدوا أبا طاهر الامر من جديد ورجعوا الى ولائهم للمهدي ٠

يظهر من هذا كله اننا نجابه روايتين متمايزتين كلتاهما

---

(١) ٢/٥٥ ٠
(٢) مقتبسة في دو خويه ص ١٣٣ ٠
(٣) ١٦٢ ٠
(٤) الاثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢١٣ ٠
(٥) ورقة ١٤٧ ، ٢ ٠

قوية تعتمد على مصادر موثوق بها ، ولهــذا فــلا يمكننــا نصدر حكما قاطعا لمواضع الخلاف بينهما · ولكن الــذي يتضح من كلتيهما أن ثورة خطيرة نشبت بين القرامطة في البحرين في وقت من اوقات فترة الثلاثين الاولى من القرن الرابع الهجــري دلت برهــــة من الزمن على رفض سلطـــة الفاطميين والرجوع الى عقيدة أكثر تطرفا · ويبدو أن الخلاف لم يكن دائميا في وقت ما فالقرامطة ـ كما رأينا قــد تخلوا اخيرا عــن زكريا وعــادوا الى خضوعهم للمهدي واعـــادوا الحجر الاسود الى موضعـه سنة ٣٣٩ هـ = ٩٥٠ م بامـــر من الفاطميين ، وهناك دلائل تدل على انهم اعترفوا بالفاطميين احيانا حتى بعد حروبهم مــع المعز ويذكر ابن حوقل انهم ارسلوا ضريبــة سنوية الى الامـــام سنة ٣٦٧ هـ = ٩٧٧ م (١) ·

---

(١) الطبعة الحديثة ص ٢٨ ، الطبعة القديمة ص ٢٣ ·

٧ ـ المدلول الاجتماعي للاسماعيلية

أ ـ الاسس الاجتماعية :

من المسائل الكثيرة في الحركـــة الاسماعيلية مسالة لمـا تحل حلا مرضيا هي مسألة دلالتها التاريخية الجوهرية · اذ من الواضح أن حركة بهذا المدى وبهـذه القوة لا بـــد أن تكون وليدة قوى تاريخية ممتدة الجذور ، ووليدة حاجـة اليها ملحة في ذلك الوقت أتاحت لها أن تبلغ ما بلغته من الاتساع ·

لقد سأل الكتاب الاقدمون أنفسهم أمثال الغزالي والبغدادي وابـــن الجـوزي عـن سبب انتشـار الحركة بهـذه السرعـة ، وافترضوا أسبابـــا تختلف في قـــوة الاقناع وخلاصتها ، وهي تمثل وجهة نظر السنة ، أن الاسماعيليـــة تمثل جهود العقائـــد التي غلبها الاسلام لتندس فيه فتقضي عليـــه او تحل محله ، اما بشكلها القديم او بشكل الحادي خالص · ويتبين هذا في السعي لجعل موجدي الاسماعليلية زرادشتيين ومانويين وديصانيين ··· الخ ·

« فذهـــب اكثر (المتكلميـــن) الى ان اغـــراض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القـرآن والسنة ··· » ·

« والـــذي يصح عندي من دين الباطنية أنهـــم دهريـــة زنادقة يقولون بقدم العالـــم وينكرون الرسل والشرائـــع كلهـــا ، لميلهم الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع (١) » ٠

« وغايـــة مقصدهم الانسلال من الدين فشاورورا جماعـة من المجوس والمزدكيـــة والثنوية وملحـــدة الفلاسفة في استنباط تدبيـــر يخفف عنهم ما أصابهم من استيلاء الدين عليهم ٠

« ورأوا امر محمد (ص) قد استطار في الاقطـــار وانهم عجزوا عن مقاومته ، فقـــالوا سبيلنا ان ننتحـــل عقيـــدة طائفة أقبلها للمحاولات والتصديق بالاكاذيب وهـــم الروافض فنتحصن بالانتساب اليهم(فيمكننا) استدراجهم الى الانخداع عن الدين(٢)»٠

ويذهب أوائل المستشرقين المحدثين أمثال كارادیفو وبلوشنيه وغيرهما الى ان الاسماعيلية حركة قومية وعنصرية اكثر منهـــا حركة دينية ، هي ثورة فارس الآرية ضد سامية الإسلام ٠ الا ان فلهوزن وغولدزيهر فندا رأيهما بحجـــج قوية حتى اصبـــح مـــن المتعذر قبوله ٠ وأول هذه الحجج هي أن الحركة أبعد من أن تكون مقتصرة على الفرس بل كانت في الحقيقة ـ حتـــى زمن متأخر ـ اقوى ما تكون في أراضي العراق وسوريا العربيـــة أو السامية حتى ان التحقيق الحديث ليزيد من أهميـــة الفـــرق الغنوصية والصوفية الغاليتين بين الساميين والمصريين ٠ ثم صبأت الطبقات

---

(١) البغدادي ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، الترجمة ١٣٠ ـ ١٣١ ٠

(٢) الغالي ٠ كولدزيهر ٣٨ ـ ٣٩ ، انظر مثـــال هذه العبـــارة في ابن الجوزي : تلبيس ابليس ١٠٨ ـ ١٠٩ و ١١٢ ـ ١١٣ ، وفي : R. S. O. 253 - and 261 - 262 واغلب مذهبهم يطابق ثنوية المجوس والفلاسفة باطنا والملاحدة ظاهـــرا ٠ انظر ايضا دو ساسي : ,1 Intro 74 ff.

المظلومة من الآراميين والعرب الى التعاليم الهرطقية Hérétique. المختلفة فقد اعتنقت الطبقات الحاكمة من الزرادشتيين القاربين مذهب السنة بعد وقت قصير وسرعان ما اصبحوا في عداد الطبقة الحاكمة من العرب · وحتى اولئك الذين بقوا مخلصين للزردشتية لم يكن ازدراءهم للفرق المارقة الايرانية بأقل من ازدراء العرب لها (١) ·

يظهر من كل هذا أن الحركة ـ حتى اذا كان لها اساس مادي تقوم فلسفتها عليه ـ انما كانت تقررها عوامل اجتماعية · ويتفق هذا مع ما توصلت اليه تحقيقات فان فلوتن وبيكر **من أن الاسلام لم يكن في ادواره الاولى دينا بقدر ما كان علامة امتياز للارستقراطية المنتصرة ، والمذهب الرسمي للدولة التي تمثله** · وعلى هذا **فان الشيعة الثورية كانت النتيجة الطبيعية في وسط ثيوقراطي لثورة الطبقات المظلومة ، الفارسية والسامية على السواء** · وتظهر طبيعة هذه الطبقة في الابيات التي اقتبسها بلاشير (٢) وهي :

تلوم على تركي الصلاة خليلتي
فقلت اغربي عن ناظري ! أنت طالق

فوالله لا صليت لله مفلسا
يصلي له الشيخ الجليل وفائق

لماذا أصلي ؟ أين بغي ومنزلي
واين خيولي والحلى والمناطق؟

---

(١) صديقي les Mouvements, 61, 88, 121. ، وتهمة ثابت بن سنان الصابي للقرامطة بأقل شدة من تهمة المعاصرين السنة لهم · أنظر مخطوطة ثابت ص ٢٨ ·

(٢) المتنبي ٢/٨١ ، وهي بعض قصيدة ورد أصلها في ارشاد الاريب لياقوت

اصلي ولا فتر من الارض يحتوي
عليــه يميني ؟ انني لمنافق

بلى ٠ ان علي الله وسع لم ازل
اصلي له ما لاح في الجو بارق

وفي أواخر القرن التاسع وفي القرن العاشــر نمت التجارة والصناعة في الامبراطوريـة العباسيــة فاصبحــت **المشكلـة الاجتماعية** أكثر حدة ، وأصبحت الحركات التي تمثـل تضايقـا اجتماعيا واهدافا اجتماعية أشد ظهورا ٠ وكانت أولى علامـات الخطر ثورة الزنج ، العبيد العاملين في اهواز العراق المحليـة ، ثم **مؤامرة القرامطة** على المجتمع الاسلامي ٠ وقد جــاءت اول أخبارها سنة ٢٧٩هـ ٨٩٢م ٠ والطبري (١) وهو اقدم مصادرنـا وان كان بعيــدا عــن ادراك مــدى الحــوادث التي يقصها وادراك ملابساتها فانه يروي شيئـــا مهما ، ذلك أن اول احتجاج على دعــوة القرامطة السلمية وجهه مالـك احدى المقاطعـــات يشكو من الخمسين صلاة في اليــوم التي امــر بها الداعي ، لانها تعرقل شغل عماله ٠ وقد لا نـكون مغالين ـ لمـا نعـرف من موقف القرامطــة من الصلاة ـ اذا اعتبرنــا الخمسيـن صلاة في اليــوم عــرقلة مقصودة لساعــات العمل ٠ ويورد الطبري (٢) أيضا ملاحظة هامة جـدا وهي ان القرامطـة اكثرهم من الفلاحين ٠

أما الكتــاب المتأخـرون فقد نفذوا نفوذا أعمـــق الى الطبيعـة الاجتماعيـة للتعاليــم الاسماعيليـــة والى التركيب

---

(١) ٢١٢٦/٣ ٠
(٢) ٢١٩٨/٣ ـ ٢٢٠٢ ٠

الاجتماعي لاتباعها · فابن رزام(١) يؤكد في مواقف عدة على ان الاسماعيليين كانـــوا يبشرون بان الشرائـــع لم تسن الا لتقييد الجماهير وصيانة المصالـــح الدنيويـة للطبقـــة الحاكمـة ، اما المثقفون فلا حاجة لخضوعهم لها · وينسب البغدادي (٢) أيضـا مثل هذه الطبيعة الى عقائد الاسماعيليين وما المكتـوب الشهيـر الذي يرويه لعبيد الله الا حملة قاسيـــة على الاسس الاجتماعية للمجتمع الاسلامي السني · وقد أدرك الغزالـــي (٣) جيـــدا أن العقائد الاسماعيلية تصادف هوى في نفوس العامة · لذا نجـده يوجـه كلامه اليهم ولا سيما في كتابه فضائح الباطنية · اما ابن الجوزي (٤) وهو بعيد النظـــر في شؤون المارقيـن ، فانه يشير الى سهولة انقياد العامة للتعاليـــم الالحاديـــة والى أن طبيعة التعاليم الباطنية سلب الاموال ونهبها ·

ورب معترض يقول بأن جميـــع هـــذه المصادر معاديـة للاسماعيلية شديـــدة التحامل عليها ، فأحكامها لهذا ذات قيمة ضئيلة ، ولكن مثل هذا الاعتـــراض ضعيف ، فنحن ان استطعنا أن نكذب التهـــم التي الصقت بالاسماعيلية كتهمـــة الجماعيـة فان نقل الكتاب هذه الحركة من الاتجاه الدينـــي الى الاتجـــاه الاقتصادي ليرينا مصدر الخطر الحقيقي الذي كانوا يخشونـه · وقد كـــان الغزالي صريحا في هذا الشأن فقـــال بأن خطـر الهرطقة الرئيسي انما هو في استهوائها الطبقات العاملة وأهـل الصناعات والحرف (٥) ·

....

(١) دو ساسي : 1, Intro, 115 - 7 (ـ المقريزي ، خطط ٣٩٤ و ١٣٣ ـ ١٣٥ (المقريزي ، خطط ، ٣٩٥) ·

(٢) ٢٨١ ـ ٢٨٢ ، الترجمة ١٣٦ ـ ١٣٧ ·

(٣) كولدزيهر : Extrats 2 , 14, 15, 16

(٤) تلبيس ابليس : ١١١ ، ١١٣ ، ١١٦ ·

(٥) كولدزيهر ٢٣ ـ ٢٤ ·

وقد استطاعت الاسماعيلية باتصالاتها بأصناف أهل الصناعات والحرف أن تؤثر في الطبقات العاملة تأثيرا قويا ، وان تترك فيها اثرا عميقا لم يمحه اضطهاد قرون عدة (١) ·

ب ــ التداخل المعتقدي

(Interconfessionalism)

صادفت الدعوة الاسماعيلية هوى في نفوس جماعات مختلفة في العنصر والدين ، مزدكيين ومانويين **وصابئيين وشيعة** وسنة ومسيحيين ويهود من كل نوع فأنشأت بحكم الضرورة نطاقا قويا من التداخل المعتقدي يقترب احيانا من مذهب عقلي خالص ·وقد سبقهم الى هذا عيسوية أصفهان وربما تأثروا بها · والعيسوية هي فرقة يهودية ادعت في أثناء خلافة عبد الملك الاموي بأن محمدا وعيسى كانا نبيين صادقين بالنسبة الى وطنيهما وشعبيهما اللذين ظهرا فيهما · فطور الاسماعيليون هذ الفكرة وصاغوها نظاما محكما أصبحت بموجبه الصحة النسبية لجميع الاديان معترفا بها ، والغي التعصب الديني الغاء تاما · وخير تعبير عن هذا نجده في رسائل اخوان الصفا ومنها نقتبس العبارات التالية التي تمثل النغمة العامة للحرية الدينية :

....

(٤) يرى بعضهم ان الاسماعيليين هم الذين اسسوا النقابات الاسلامية · وان كان في هذا مجال للشك فان اتصالهم الوثيق بها أمر لا جدال فيه واذا شئت بحثا عن النقابات الاسلامية (Islamic Guilds) في مجلة التاريخ الاقتصادي ، تشرين الثاني ، ١٩٣٧ ·

« ... وينبغي لاخواننا ـ ايدهم الله ـ ان لا يعادوا علما من العلوم او يهجروا كتابا من الكتب ، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ، لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها (١) » .

«.. ومن الناس من يرى ويعتقد في دينه ومذهبه الرحمة والشفقة للناس كلهم ويرثي للمذنبين ويستغفر لهم ويتحنن على كل روح من الحيوان ، ويريد الصلاح للكل وهذا مذهب الابرار والزهاد والصالحين من المؤمنين . وهكذا مذهب اخواننا الكرام (٢) .

« واعلم ايها الاخ ان من سعادتك أيضا ان يتفق لك معلم ذكي جيد الطبع ، حسن الخلق ، صافي الذهن ، محب للعلم ، طالب للحق غير متعصب لرأي من المذاهب (٣) » .

« ينبغي لك أيها الاخ ألا تشغل باصلاح المشايخ الهرمة الذين اعتقدوا من الصبا آراء فاسدة وعادات رديئة وأخلاقا وحشة ، فانهم يتعبونك ثم لا ينصلحون . وان صلحوا قليلا فلا يفلحون » .

« ولكن عليك بالشباب السالمي الصدور ، الراغبين في الاداب ، المبتدئين بالنظر في العلوم ، المريدين طريق الحق والدار الآخرة ، والمؤمنين بيوم الحساب المستعملين شرائع الانبياء عليهم السلام ، الباحثين عن اسرار كتبهم ، التاركين

(١) ١٠٥ .
(٢) ١٠٨ .
(٣) ١١٤ .

الهوى والجدل ، غير متعصبين للمذاهب (١) » ·

وقد درسوا كتب اليهود والنصارى المقدسة وفسروها باساليب اسماعيلية · وقد استفاد الفيلسوف الفاطمي الكبير حميد الدين الكرماني المتوفى بعد سنة (٤٠٨هـ = ١٠١٧م)كثيرا من التوراة والانجيل (٢) ·ونجد في كتب الدروز أيضا(٣)اشارات للتوراة والانجيل بل هناك ترجمة فارسية لموعظة الجبل بتفسير اسماعيلي · وقد ذكر بنيامين التطيلي أن الدروز في سورية كانوا اصدقاء مخلصين لليهود ، وكان في فارس مجتمع يهودي يعيش تحت حكم الاسماعيليين ويذهب ابناؤه الى الحرب كلما ذهب الاسماعيليون للحرب (٤) ·

وهناك مثل آخر لتحرر الاسماعيليين هو أن الداعي الاسماعيلي ابن حوشب عندما ذهب الى اليمن وجد أهلها يعتقدون بظهور مهدي يدعى المنصور (٥) ، فلم يعترضهم بل أيدهم · وهو لم يؤيدهم في الحقيقة الا ليستخدم هذه العقيدة في صالح الاسماعيليين · ويذكر عبد الجبار أن الداعي وعد اليمانيين بظهور المهدي في اليمن (٦) · وقد يكون ما جاء في الرسالة

---

(١) ١١٤ ·
(٢) كراوس : آداب اليهود والسريان : مجلة الاسلام ، عدد ١٩ ·
(٣) دو ساسي : ٤٨٩/١ و ٤٩٨ ·
(٤) ٦٢ و ١٢٠ طبعة أشير ، نيويورك ، القسم الاول ·
(٥) في الكتابات اليمنية اشارات عديدة الى مهدي حميري يطلق عليه منصور حمير أو منصور اليمن · انظر : Burgen und schlosser, 367 -8 and 407 - 8 وكذلك الهمداني : اكليل ص ٧١ ـ ٧٢ ، والمقدسي : هوار ١٨٣/٢ ، الترجمة ١٦٤ ·
(٦) ورقة ١٤٣ ب ·

الدرزية المسماة رسالة السفر الى السادة أوسع عبارة وردت في هذا الصدد ، اذ تقول بأن العقيدة الدرزية جبت جميع العقائد الاخرى كالاسلام والمسيحية واليهودية والزرادشتية ، وما اتصل بها من نحل وطوائف (١) وليس بين شمولها هذه الأديان وبين قيامها مقامها الا خطوة واحدة ·

وفي الكتابات الاسماعيلية كثير من أشباه هذه التصريحات مثال ذلك كتاب (الشواهد) لجعفر بن منصور اليماني الذي يعد الصابئيين من المؤمنين بالله · ويقول بأن اليهود والمسيحيين وأتباع أي دين آخر ، يؤمنون بالله وباليوم الآخر ويعملون الصالحات ويطيعون الله ، ويدخلون الجنة (٢) ·
وقد افزع مذهب التداخل المعتقدي (Interconfessionalism) هذا فقهاء السنة فأسهب ابن رزّام (٣) في الكلام عن تسامح الدعوة الباطنية الديني وعن محاولتها ضم الناس من كل دين بعرضها لهم ما هو اكثر استهواء وتشويقا · ويذكر هذا الغزالي (٤) أيضا ويأسف له ويستعيذ منه ·

ولم تمت روح التسامح والتحرر هذه بسقوط القرمطية الثورية فقد تركت أثرها في السياسة الدينية السمحة للخلفاء الفاطميين وفي الحرية الدينية للاصناف في العهد الاول على الاقل وفي التيار القوي لمذهب التداخل المعتقدي في الآداب الاسماعيلية المتأخرة · وأخيرا في تأثيرها في عدد من الشخصيات الذكية ، ابرزها المعري وعمر الخيام (٥) ·

---

(١) المخطوطة ، باريس ، ١٧٢ و ١٧٣ ·
(٢) المخطوطة ، القاهرة ، ٤٢ ـ ٤٣ ·
(٣) دو ساسي : 1, Intro., 133, 14, as, etc .
(٤) غولدزيهر ٤٤ و Extract 6
(٥) يزعم صاحب الفلك الدوار أن كليهما اسماعيلي : ص ١٧٠ ، ١٧٧ ·

ج ـ الجماعية (ملكية الجماعة)

من التهم المتواترة التي وجهها الخصوم السنة الى القرامطة والاسماعيليين هي انهم دعوا الى **جماعيـــة الامـــوال والنساء** وطبقوها · حتى أن مؤلـــف سياسة نامة ليعتبـــر الاسماعيلية استمرارا مباشرا للحركة المزدكية في العصر الساساني ، ويقدم لبحثه عن عقائد الاسماعيلية ونشاطهم بوصف مسهـــب لحركة مزدك · ويمكننا أن نفهم أساس برنامج مزدك الجماعـــي الديني من عبارة تنسبها اليه سياسة نامـــة (١) ، وهي أنه « يجب ان تشاع الاموال وتوزع حسب الحاجة » · ونحن نستطيع أن نسلم بأن مزدك دعا الى جماعية الاموال ، واما دعوتـــه الى جماعية النساء فأمر مشكوك فيه (٢) ·

وكانت حلقة الوصل بين مزدك والاسماعيليين ، اعتمادا على سياسة نامة (٣) ، أرملة مزدك حرمة التي أوجدت الفرقة الخرمية السرية التي كان من اتباعها أبو مسلم وسندباد المجوسي · أمـــا استحالة هذه الحركة ـ لاسباب انتهازية خالصة ـ الى التشيـــع فانها تظهر في العبارة القائلة : « قد اصبح مزدك شيعيا (٤) » ·

....

(١) ١٦٨ ، الترجمة ٢٤٨ ·

(٢) أنظر مسألة مزدك بالتفصيل في كتاب : ايـران تحت حكم الساسانيين تاليف كرستنسن ·

(٣) ١٨٢ ، الترجمة ٢٥٥ ·

(٤) ١٧٣ ، الترجمة ٢٦٨ ·

وقصة الخرمية كلها وروابطها بالحركة الايرانية قبل الاسلام من جهة وبالاسماعيلية من جهة اخرى لا تزال غير مؤكدة ، ولا نستطيع ان نتناول بحثها هنا · وفي كتاب الدكتور صديقي (١) تحليل قيم لذلك فليرجع اليه من يريد ·

ولو طالعنا تاريخ الفرق القرمطية والاسماعيلية الحقيقي لاستندنا الى اساس أقوى · فهنا تذكر سياسة نامة بحثا صحيحا صريحا عن ظهور الفرق وانتشارها وعن نشاط دعاتها في الاقطار المختلفة · ويتفق البحث العام مع غالبية المصادر السنية ·والامر ذو الاهمية الخاصة فيه هو التأكيد المكرر على تشابه المزدكية والقرمطية والحكم على أن الالحاد والشيوعية والاباحية كانت شائعة في البحرين ·

ويذكر ابن رزام بحثا عن جماعية القرامطة اكثر تفصيلا وأكثر اقناعا والعبارة التي تخص الموضوع محفوظة في النويري وهي تصف لنا تأسيس **مجتمع جماعي** في جوار الكوفة (٢) واستنادا الى هذا البحث نقول : لما استمال الداعي حمدان قرمط سكان بعض القرى العراقية الى عقيدته فرض عليهم ضرائب عدة وجبايات تصاعدية · ثم فرض عليهم الالفة وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد وأن يكونوا في ذلك أسوة واحدة لا يفضل واحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه · وتلا قوله تعالى « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » وتلا عليهم قوله تعالى « لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » وعرفهم أنه لا حاجة بهم الى أموال تكون معهم لان الارض

---

(١) Les Mouvements Religieux Iraniens

(٢) دو خويه ٢٩ ـ نويري مخطوطة باريس ورقة ٨٤ ف ، قارن دو ساسي Int. 186 .

باسرها ستكون لهم دون غيرهم · وقال لهم هذه محنتكم التي امتحنتم بها لنعلم كيف تعملون · وطالبهم بشراء السلاح واعداده وذلك في سنة ست وسبعين ومئتين · وأقام الدعاة في كل قرية رجلا مختارا من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم وحلى ومتاع وغيره · فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم ما يكفيهم ولا يبقى فقيرا بينهم ولا محتاجا ضعيفا · وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والتكسب بجهده ليكون له الفضل في رتبته· وكانت المرأة تجمع اليه كسبها من مغزلها والصبي أجر نطارته الطير · فلم يملك أحد منهم الا سيفه وسلاحه · فلما استقام له ذلك كله وصبوا اليه وعملوا به امر الدعاة ان يجمعوا النساء ليلة معروفة ويختلطن بالرجال وقال ان ذلك من صحة الود والالفة بينهم » ·

وليس لدينا نصوص أخرى عدا هاتين الروايتين وكلتاهما من رواية أعداء القرامطة وتمتاز بالتعصب الشديد عليهم الا قليل من الاحكام العامة (١) · وكتابات الاسماعيليين أنفسهم لا تحمل أثرا لعقيدة الجماعية ولكن هذا لا يسوغ لنا أن نرفض رواية ابن رزام لان جميع الكتابات الاسماعيلية الباقية انما تؤرخ ما بعد تأسيس الخلافة الفاطمية ، عندما فترت العقائد الثورية التي كانت قبلئذ،وتلطفت لتلائم حاجة الدولة والاسرة المالكة·وعلى هذا فمن الممكن ان يكون الدعاة الاولون قد دعوا الى نوع من الجماعية ربما قام بتطبيقها قرامطة البحرين الذين لم يتأثروا ــ كما رأينا ــ

(١) يعتبر ابن حزم (فريد ليندر ١/٣٧ ، ٢/١٩ ــ ٢٠) الشيوعية عاملا أساسيا وحيويا في عقائد الاسماعيليين والقرامطة والفاطميين · ويذكر ابن حوقل (ص ٢١٠) أعمالا شبه شيوعية قام بها ابو سعيد في جنوب فارس · ويروي أن الرعيني ، تلميذ الفيلسوف الموالى للاسماعيلية ابن مسرة وخليفته (القرن التاسع ــ العاشر) ، قد دعا الى شيوعية الاموال، وربما الى الاباحية في الحب · Pala cios, 99 - 103 Asina

بالتبدلات التي طرأت على العقيدة في افريقية (١) · ولدينا عن هذا مصدران لهما قيمة هامة وهما مشاهدات رحالتين كلاهما من اشد انصار الفاطميين ، زارا القرامطة في البحرين وسجلا مشاهدتهما هناك · ومنها نستطيع أن نحصل على صورة لافكار القرامطة السياسية والاجتماعية ولتنظيماتهم الادارية ·

د ـ وضع البحرين

واقدم هذين المصدرين وأوجزهما كتاب **ابن حوقل** · زار البحرين في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي ،وذكر شيئا يسيرا جديدا عما يتعلق بالنظام الاجتماعي للدولة القرمطية، ولكنه يبدي بعض الملاحظات الهامة عن بنائها السياسي · **فدولة القرامطة عنده (٢) كانت من نوع الجمهورية الاوليغارشية (حكم القلة) ، ولم يكن حاكمها مستبدا باي حال ، بل هو رئيس جماعة متساوية ، يعاونه في الحكم مجلس مؤلف من اتباعه المقربين ، وممن تربطهم روابط النسب والتنشيء ، يعرف بالعقدانية (٣)**· ويذكر ابن حوقل أسماء أفرادها ووظائفهم · وكانت الاسرتان الحاكمتان أسرة ابي سعيد الجنابي وأسرة ابن سنبر · ويظهر أن أسرة ابن سنبر كانت لها زعامة محلية قبل أيام القرامطة · ويتكلم أيضا عن الضرائب والمكوس المختلفة التي تكوّن موارد الدولة

---

(١) أعتقد أننا يمكننا أن نرفض بدون تردد الرأي القائل بأن الاسماعيليين قد طبقوا جماعته النساء وتعلمنا الكتابات الدرزية بأن الاسماعيليين قد منحوا المرأة مركزا ساميا وحرا لم يمنحه اياها أهل السنة المعاصرون ، وربما كانت هذه الحرية النسبية للنساء الاسماعيليات هي التي تمثلت لاعين أهل السنة المتعصبين دعارة محضة ·

(٢) الطبعة الحديثة ٢٥ ـ ٢٧ ، الطبعة القديمة ٢١ ـ ٢٢ ·

(٣) من بيدهم الحل والعقد : دو خويه ١٥٦ ·

القرمطية ، وعن توزيع هذه الموارد على العقدانية بعد حسم الخمس منها للامام · وقد زاد الداخل ـ كما يقول ـ على المليون دينار · (١)

أما المصدر الثاني فهو كتاب سفر نامة لناصر خسرو وهو اسماعيلي فارسي ، زار البحرين في خلال القرن الحادي عشر الميلادي عند دعوته من مصر الى فارس · وفي هذا الكتاب وصف أسهب من سابقه · وفيما يلي موجز كلامه عن الاحساء عاصمة القرامطة (٢) :

كان في الاحساء اكثر من عشرين ألف محارب · وكان الحاكم السابق ابو سعيد الذي أبطل الصيام والصلاة·وقد سمي الاهالي أنفسهم بعده (أبو السعيديين) · وهم لا يصلون ولا يصومون على الرغم من اعترافهم بنبوة محمد · ولما توفى أبو سعيد انتقلت الحكومة الى مجلس شورى مؤلف من ستة من تلاميذه (٣) حكموا بالعدل والانصاف · وكان هذا المجلس لا يزال يقوم بمهام وظيفته عندما زاره ناصر خسرو · وكان له ثلاثون ألف عبد زنجي يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين · وليس عندهم ضرائب ولا أعشار · واذا افتقر انسان أو استدان أعانه الآخرون ليستعيد وضعه · وليس للدائن غير رأسماله · وكل غريب ينزل هذه المدينة وله صناعة ، يعطى ما يكفيه من المال ليشتري به ما يلزم صناعته من عدة وآلات· وهناك بيوت معدة لسكنى الفقراء على حساب المجموع · وقد شاهد ناصر في الاحساء طواحين تملكها الدولة وتدير شؤونها ، تطحن الحبوب للرعية مجانا ·

---

(١) اذا اردت الاستزادة فانظر دو خويه ١٥٠ وما بعدها ففيه بحث لهذا ولمصادر أخرى ·

(٢) ٨٢ وما بعدها ، الترجمة ٢٢٥ وما بعدها ·

(٣) ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

وكان الحكام يسمون (السادة) ، ووزراؤهم (الشيرة) (١)· وليس في مدينة الاحساء مسجد ولا صلوات ولا خطب أو مراسيم الجمعة ، بيد أن الحجاج السنيين بنوا لانفسهم مسجدا على حسابهم · وكانت المعاملات التجارية تجري بواسطة نقود اصطلاحية لا يجوز اخراجها من البلد·وأهل البلاد وان كانوا لا يصلون فانهم لا يمنعون أحدا من الصلاة ، وهم لا يشربون الخمر مهما كانت الظروف · واذا تحدث أحد السادة الى مستمع اليه تكلم برقة وتواضع ·

وفي الاحساء تؤكل لحوم الحيوانات كلها من قطط وكلاب وحمير ··· وغيرها ويشترط القانون أن يعرض رأس الحيوان وجلده بجانبها ليعرف المشترون ما يشترون ·

هكذا كانت الاحساء عندما رآها ناصر · وهي صورة يمكن الاعتماد عليها بوجه عام وان كان في ناحية منها او ناحيتين بعض الخيال · والنظام الذي يصفه كما هو واضح ليس بجماعية ولكنه نظام مجتمع وحكومة يختلف كثيرا عن أي نظام معروف في العالم الاسلامي كله ، وهو نظام ألف تأليفا حسنا بحيث أثار عداوة الطبقات الحاكمة وبغضاءها ·

* * *

---

(١) وردت في ترجمة سيلسة نامة (الشائرة) المترجمان ·

آل على

على توفى ٤٠ هـ ٦٦١ م

- الحسن ٥٠ هـ ٦٧٠ م
  - الحسن
    - عبد الله
      - إبراهيم
      - محمد النفس الزكية ١٤٥ هـ ٧٦٢ م
- الحسين ٦١ هـ ٦٨٠ م
  - على زين العابدين ٩٤ هـ ٧١٢ ، ٧١٣ م
    - محمد الباقر ١١٣ هـ ٧٣١ ، ٧٣٢م
      - جعفر الصادق — ١٤٨ هـ ٧٦٥ م
        - إسماعيل
        - موسى الكاظم ١٨٣ هـ ٧٩٩ م
    - زيد ١٢٥ ، ١٢٦ هـ ٧٤٣ ، ٧٤٤م
      - يحيى
      - عيسى
- محمد بن الحنفية ٨١ هـ ٧٠٠ ، ٧٠١م

الأئمة المستورون للإسماعيلية:

إسماعيل
محمد
أحمد
الحسين (المعلى)
محمد (القائم) ٣٢٢ هـ ٩٣٤ م
الخلفاء الفاطميون

أئمة الشيعة الاثنى عشرية:

موسى الكاظم ١٨٣ هـ ٧٩٩ م
على الرضا ٢٠٢ هـ ٨١٧ ، ٨١٨م
محمد الجواد ٢٢٠ هـ ٨٣٥ م
على الهادى ٢٥٤ هـ ٨٦٨ م
حسن العسكرى ٢٦٠ هـ ٨٧٣ ، ٨٧٤م
محمد المهدى ، استتر حوالى سنة ٢٦٠ هـ ٨٧٣ ، ٨٧٤م

مصادر الكتاب

أولا : المصادر السنية :

١ ـ المصادر التاريخية

ـ **ابو الفدا** : تاريخ أبي الفدا ، طبعة رايسكه ، خمسة مجلدات هافنيه (كوبنهاغن) ، ١٧٨٩ ـ ٩٤ ٠

ـ **أبو المحاسن** بن تغري بردى : النجوم الزاهرة : طبعة جنبول ، مجلدان ، ليدن ، ١٨٥٢ ـ ٥٧ ٠

ـ **عريب بن سعد** : صلة الطبري : طبعة دو خوية ، ليدن ١٨٩٧ ٠

ـ **حمزة الاصفهاني** : سني ملوك الارض والانبياء ، طبعة كوتنالت ، مجلدان ، بطرسبرج ١٨٤٤ ـ ٤٨ ٠

ـ **ابن عذارى المراكشي** : البيان المغرب : طبعة دوزي ، مجلدان ، ليدن ، ١٨٤٨ ـ ٥١ ٠

ـ **ابن خلكان** : وفيات الاعيان : طبعة القاهرة ٠ مجلدان ، ١٢٧٥ هـ ٠

ـ « **ابن خلكان** »:ترجمة وفيات الاعيان : ماكركن دي سلين، ٤ مجلدات باريس ، ١٨٤٢ ـ ١٨٧١ ٠

- ابن الاثير : الكامل : طبعة تورنبرج ، ١٤ مجلدا ، ليدن ، ١٨٥١ ـ ١٨٧٦ .

- ابن مالك : كشف أسرار الباطنيـــة : طبعـــة الكوثري ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

- ابن النديم : الفهرست : طبعة فلوجل ، مجلـدان ، ليبزك ١٨٧١ .

- الجندي : في كتاب The yaman ; Its Early : H. C. kay Mediaeval History. London 1892 .

- الجويني : الحشاشون : طبعـــة ميرزا محـــمد ، ليدن ، ١٩٣٧ .

- المقريزي : الاتعاظ : طبعة بنز ، ليبزك ، ١٩٠٩ .

- المقريزي : الخطط : طبعة القاهرة ، مجلدان ، ١٢٧٠ هـ .

- المقريزي : الترجمة الفرنسية للخطط بعنوان : La doctrine Secréte des Fatimides d'Egypte كازانوفا في نشرة المعهد الفرنسي للآثار الشرقيّة ، المجلد ١٨ .

- المقريزي : المقفى :

(١) طبعة كاترمير في المجلة الآسيوية ١٨٣٦ بعنوان : « Memoirs Historiques » .

(٢) طبعة فاكنان بعنوان :
« La Biographie a'Obeyd Allah » Centenariodi Michele Amari. Il, P. 35-86 Palermo 1910

- المسعودي : مروج الذهب : طبعـــة باربير دي مينـــار ٩ مجلدآت ، باريس ١٨٦١ ـ ١٨٧٧ .

- المسعودي : التنبيه والاشراف : طبعة دو خويه ، ليدن ١٨٩٢ .

- المسعودي : ترجمته بعنوان :
« La Livre de L'Avertissement »
Carra de Vaux. Paris, 1897

- مسكويه : تجارب الامم : طبعة امدروس ومارجليوث ، ٧ مجلدات ، اكسفورد ١٩٣٠ .

- نظام الملك : سياسة نامة : طبعة (وترجمة) شفر ، باريس ١٨٩١ ـ ١٨٩٧ .

- النويري : نهاية الارب : مخطوط في باريس ، القسم العربي ، برقم ١٥٧٦ .

- رشيد الدين : جامع التواريخ : في بحث لليفي بعنوان :
The account of the Ismaili Doctrines in the Gami al Twarirkh . في مجلة الجمعية الاسيوية .

- السيوطي : تاريخ الخلفاء : طبعة القاهرة ١٣٥١ هـ .

- الطبري : تاريخ الطبري : طبعة دو خويه وجماعته ، ليدن ١٨٧٩ ـ ١٩٠١ .

- ثابت بن سنان : تاريخ القرامطة : مخطوط عند المؤلف .

مصادر الكتاب

ب ـ المصادر الدينية

- عبد الجبار : كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد : مخطوط في اسطنبول في مكتبة ، شهيد علي باشا ، برقم ١٥٧٥ .

- أبو المعالي : بيان الاديان : طبعة عباس اقبال ، طهـران ١٣١٢ هـ وكذلك في بحث لشفر

Chréstomathie Persanne II , Paris , 1885.

ترجمة H. Marré في مجلة تاريخ الاديان (R.H.R)

- الاشعري : مقالات الاسلاميين : طبعة ريتــر ، مجلدان ، اسطنبول ١٩٢٩ .

- البغدادي : الفرق بين الفرق : طبعة محمد بدر ، القاهرة ١٣٢٨ هـ

- البغدادي : ترجمة كتابه :

(١) لسيلي ، نيويورك ١٩١٩ .

(٢) لهالكن ، تل ابيب ١٩٣٥ .

البغدادي : المختصر : طبعة فيليب حتي ، القاهــرة ١٩٢٤ .

- الغزالي : انظر كولدزيهر في القائمة (د) .

- ابن حزم : انظر فريد لندر في القائمة (د) .

- ابن الجوزي : تلبيس ابليس : القاهرة ، ١٩٢٨ ، وانظــر أيضا دي سوموجي في القائمة (د) .

- الايجي : المواقف : طبعة سورنسن ، ليبزك ١٨٤٨ .

- الملطي : كتـــاب التنبيه والـــرد : طبعة (ديدرنـــك) اسطنبول ١٩٣٦ .

- مطهر بن طاهر المقدسي : كتاب البدء والتاريخ : هوار ، ٦ مجلدات ، باريس ١٨٩٩ ـ ١٩١٩ .

- الشهرستاني : الملل والنحل : طبعة كرتــون ، مجلدان ، لندن ، ١٨٤٢ ـ ١٨٤٦ .

- الشهر ستاني : ترجمته لهار بروكر .

ج ـ مصادر سنية أخرى

ـ **الذهبي** : ميزان الاعتدال : القاهرة ، ٥ مجلدات ٠

ـ **الجويري** : المختار في كشف الاسرار : القاهرة ٠

ـ **المعري** : رسالة الغفران : طبعة هندية في القاهرة ،١٩٠٣، وترجمتها لنكلسون في مجلة الجمعية الملكية الاسيوية ٠

ـ **السمعاني** : كتاب الانساب : ليدن ١٩١٢ ٠

ـ **شهاب الدين العمري** : التعريف بالمصطلح الشريف : القاهرة ١٣١٢ هـ ٠

ثانيا : المصادر الشيعية :

ـ **آغا بزرك** : الذريعة الى تصانيف الشيعة : النجف ١٩٣٦

ـ **الاسترابادي** : منهاج المقال طهران ١٣٠٧ هـ ٠

ـ **الكشي** : معرفة الرجال : بومبي ١٣١٧هـ ٠

ـ **المجلسي** : بحار الانوار ، ٢٥ مجلدا ، ايران ١٣٠١ ـ ١٣١٥ هـ ٠

ـ **المتوكل** : حقائق المعرفة ، مخطوط في الخزانة التيمورية في قسم العقائد ، برقم : ٦٨٧ ٠

ـ **النوبختي** : فرق الشيعة : طبعة ريتر ، اسطنبول ١٩٣١ ٠

ـ **القمي** : هدية الاحباب : النجف ، ب ٠ ت ٠

ـ **ابن شهر اشوب** : معالم العلماء : طبعة عباس اقبال ، طهران ١٩٣٤ ٠

- **الطوسي** : فهرست كتب الشيعة : طبعة شبرنكر ، كلكتـــا ١٨٥٣ .

- **مؤلف مجهول** : تبصرة العوام : طبعة عباس اقبـــال ، طهران ١٣١٣ هـ .

ثالثا : المصادر الاسماعيلية وما يتصل بها :

أ) رسائل درزية :

- (١) **حمزة** : السيرة المستقيمة ، مخطوطة في باريس ، في القسم العربي ، برقم ١٤٠٨ . وقد نشر بعضها في المقتبس فـــي القاهرة سنة ١٩١٠ ، المجلد الخامس ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٦ .

- (٢) **المقتنع** : رسالة السفر الى السادة : مخطوطة فـــي القسم العربي ، رقم ١٤٢٤ .

- **سيدنا الحسين** : كتاب الايضاح والبيان : أنظر لويس في القائمة (رابعا) .

- **ابن حوقل** : المسالك والممالك : طبعة دى خويه (الاولى) ، ليدن ١٨٧٣ .

- **ابن حوقل** : المسالك والممالك : طبعة دو خويه (الثانية) ، ١٩٣٨ .

- **ابن مرتضى** : الفلك الدوار : حلب ١٩٣٣ .

- **جعفر بن منصور اليمني** : الشواهد والبيان : مخطوطة في الخزانة التيمورية ، قسم العقائد برقم ١٧٤ .

- **كلام بير** : طبعة ايفانوف ، بومبي ١٩٣٥ .

- سيدنا الخطاب : غاية المواليد : مخطوط عند الاعظمي .
- ناصر خسرو : سفر نامــة : طبعة (وترجمــة) شفــر ، باريس ١٨٨١ .
- القاضي النعمان : دعائم الاسلام : مخطــوط (مدرســة الدراسات الشرقية) ، رقم ٢٥٧٢٥ .
- القاضي النعمان : افتضاح الدعوة : مخطوطة عند المؤلف
- رسائل اخوان الصفا : القاهرة ، أربعة مجلدات ١٩٢٨ .
- شرف علي : رياض الجنان : طبعة بومبي ١٨٦٠ .
- سنبوري : أم الكتاب : طبعة ايفانوف في مجلة الاســلام (الالمانية) المجلد ٢٣ . وعدد من الدراسات الحديثة المعتمــدة على مصادر اسماعيلية لم تطبع بعد ، أو مقتبسة منها سنذكرهــا ضمن القائمة التالية .

رابعا مصادر حديثة : MODERN WORKS.

- Asin palacios . Logia et Agrapha . paris , 1916 - 25 . Abenmasarra y su Escuela. Madrid, 1914.
- Becker , C. H. Beitrage zur Geschichte Aegyptens . Strassburg , 1903 .
- Blochet, E. le Messianisme dans l'Heterodoxie Musulmane . paris , 1903.
- Caetani, L. Annali dell'Islam . 1905 ff . Une Date Astronomique dans les Epîtres des Ikhwan as-Safa, J. A., 1915. See also Maqrizi in list A.
- Darmesteter, J. Le Mahdi . paris , 1885 .

- Dussaud. Histore et Rélígion des Nosairis. paris, 1900 .
- Eghbal, A. Khanedane Newbakht. Teheran, 1311.
- Fischel, W. J. Jews in the Economic and political Life of Mediaeval Islam. London .
- Friedlander, I. The Heterodoxies of the Shi'a. I and Il. J.A.O.S., 1907-9.
- Fyzee, Asaf A.A. - Qadi an-Nu'man J.R.A.S., 1934 .
  - A List of Musta'lian Imame. J.B.B.R. A.S. 1634.
- DE Goeje, M. J. - La Fin de l'Empire des Carmathes. 1934.
- Mémoire sur les Carmathes. Leyden, 1886.
- Goldziher , I. Streitschrift des Gazali gegen die Batinijja-Lekte. Leyden, 1916.
- Goldziher, I. Muhammedaische Studien. Halle, J.A., 1895.
- Griffini, E. Die Jüngste Ambrosianische sammlung. Z.D.M.G., 1915.
- Guyard, S. Fragments Relatifs à la Doctrine des Ismaélis . paris . Notices et Extraits, Vol XXll .

Guidi, M, - Storià Della Religione dell, Islam Turin, 1939.
  - Ogine dei Yazidi Zazidi e Storia Religiosa dell' Islam. R.S.O., 1032.

Hamdani, H. - Some unknown Isma'ili Authors and their Works. J.R.A.S., 1033.
  - The Rasa'il Ikhwan as-Safa . Der Islam XX.

- A Compendtum of Isma'ili Esoterics Islamic Culture, XI.

- Ivanew, W. - A Creed of the Fatimids. Bombay, 1936.
  - A Guide to Isma'ili Literature. London , 1933.
  - An Ismailitic Work by Nasiru'd-Din Tusi J.R.A.S., 1931.
  - Ismailitica . M.A.S.B., 1922, VIII.
  - Isma'ilia. Article in El supplement.
  - Notes sur l'Ummu'I-Kitab. R.E.I., 1932.
- Kraus, P. - Les « Controverses » de Fakhr al-Din Razi. B.I.E., XIX.
  - La Bibliographie Ismëlienne. R.E.I., 1932.
  - Hebrische und Syrische Zitate. Der Islam XIX.
  - Raziana Il. Orientalia , V.
- Lewis, B. - The Islamic Guids. Economic History Review , 1937.
  - Ismaili Interpretatibn of the Fallof Adam , B. S. O. S. 1938 .
- Manour, P. H. Polemics on the origin of the Fatimi-Caliphs London 1924 .
- Massignon, L. - Salman Pak et les Prémices Spirituelles de I'lslam Iranien. Paris 1934.
  - Karmatians, Article in El.
  - Les Origines Shi'ites de la Fmille Vizirale des Banu'l-Furat. Melanges Gaudefroye-Demombynes Cairo, 1935.

- Explication du Plan de Kufa. Melanges Maspéro, III. Cairo, 1935.

- Mutanabbi devant le Siècle Ismaëlien de L'Islam. Mémoires de I'nstitut Français de Damas-al-Mutanabbi. Beirut, 1936.

- Esquisse d'une Bibliograbhie Carmathe, Browne Memorial Volume. London, 1922.

- Ritter, H. Philologica. Der Islam XVIII.

- De Sacy, S. Exposé de la Réligion des Druzes. 2 vols. Paris, 1838.

- Sadighi, G. H. Les Mouvements Réligieux Iranians . Paris , 1938.

- Snouck Hurgronje. Der Mahdi. Verspride Geschriften, I Bonn, 1923.

- De Somogyi, J. A Treatise on the Carmathians R.S.O., 1932.

- Tritton, A. S. - Notes on some Ismaili Mss. B.S.O.S., Vll.

- A Theological Miscellany B.S.O.S., IX.

- Van Vloten, G. Recherches sur la Domination Arabe, Amsterdam , 1894.

- Wellhausen, J. - Die Religiôs-politishen Oppositions parteien. Berlin, 1901.

- Skizzen und Vorarbeiten. VI. Berlin, 1889.

- Umestenfeld, F. Geschichte der Fatimiden-Chalifen. Gottingen, 1881.

وهذه أشارات وردت في حواشي الكتـــاب راينا أن نثبـت دلالتها ليهتدي اليها القارىء .

B I E. Bulletin de L'Institut d'Egypte.

B I F A O. Bulletin de L'Institut Français d'Archéologie Orientale .

B. S. O. S. Bulletin of the school of Oriental Studies.

E I. Encyclopedia of Islam .

J. A. Journal Asiatique .

J. A. O. S. Journal of the American Oriental Society.

J. B. B. R. A. S. Journal of the Bengal Branch of the Royal Asiatic Society.

J.R.A.S. Journal of the Royal Asiatic Society.

M. A. S. B. Memoirs of the Asiatic Society of Bengal .

R.H.R. Révue de l'Histoire de Religions .

R. E. I. Révue des Etudes Islamiques.

R. S. O. Rivista degli studi Orientali.

Z. A. Zeitschrift für Asyriologie.

Z. D. M. G. Zeitschrift der Deulschen Morgenlündischen Gescllschaft.